ردمد ٢٩٨٣-١٧٢٤

دولة الإمارات العربية المتحدة

دبي

مجلة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

إسلامية
فكرية
محكّمة

العدد التاسع عشر
ربيع الأول ١٤٢٨هـ-مايو ٢٠٠٧م

مَجلَّــة
كُلِّيَّةِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ والعربيَّةِ

إسلاميَّة، فكريَّة، محكَّمة
نصف سنويَّة

العدد التاسع عشر
ربيع الأول ١٤٢١هـ - يونيو ٢٠٠٠م

الإشراف العامّ
مجلس الشُّؤون العلميَّة والتَّعليميَّة والإداريَّة

رئيس التَّحرير
أ. د. إبراهيم سلقيني (عميد الكلِّيَّة)

مدير التَّحرير
د. محمَّد عبد الرَّحيم سلطان العلماء

هيئة التَّحرير
أ. د. حاتم صالح الضَّامن (قسم اللغة العربيَّة)
أ. د. رجب سعيد شهوان (قسم الشَّريعة)
د. عيادة أيُّوب الكبيسي (قسم أُصول الدِّين)

ردمد: ١٦٠٧-٢٠٩X

المحتويـــــــات

● **الافتتاحية**

التحرير ١١-١٦

● **تَدَبُّرُ القُرْآنِ بَينَ المَنْهَجِ الصَّحِيحِ والانحرافَاتِ المُعَاصِرَةِ**

د. عيادة بن أيوب الكبيسي ١٩-٥٨

● **مُوَازَنَةٌ فِي مَبْحَثِ (معرفة أسبابِ النُّزُولِ) بينَ الزَّرْكَشِيِّ والسُّيُوطِيِّ**

د: محب الدين عبد السبحان واعظ ٥٩-٨٩

● **تَحَمُّلُ الحديثِ وروايتُهُ من خلالِ وسائلِ التَّلَقِّي القَدِيمةِ والحَدِيثةِ**

د. صالح يوسف معتوق ٩١-١٢٢

● **حديث " لاَ تَرُدُّ يَدَ لاَمِسٍ " دراسةٌ نَقْدِيَّةٌ حديثيَّةٌ فقهيَّةٌ**

د. وليد محمد الكندري

د. مبارك سيف الهاجري ١٢٣-١٧٠

● **مَدَى سُلْطانِ الأَبِ في تَزْوِيجِ ابنَتِهِ فِي الفِقْهِ الإِسْلامِيِّ**

د. عيسى صالح العمري ١٧١-٢٠٢

● **مِنْ رُوَّادِ التَّجْدِيدِ فِي الدِّرَاسَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ**

د. سلامة محمد البلوي ٢٠٣-٢٤٩

● **التَّأْلِيفُ فِي مَثَالِبِ العَرَبِ حتَّى نِهَايَةِ القَرْنِ الثَّالِثِ الهجريِّ**

أ. أحمد محمد عبيد ٢٥١-٢٧٢

● **تَسْمِيَةُ الشَّيءِ باسْمِ الشَّيءِ إِذا كانَ مِنْهُ بِسَبَبٍ وأَوزانُ الاسْمِ الثُّلاثي لابن برِّي النَّحْوِيِّ المتوفَّى سنة ٥٨٢ هـ**

تحقيق الأستاذ الدكتور/ حاتم صالح الضَّامن ٢٧٣-٢٩٣

● **فِي تاريخِ عِلْمِ الصَّرْفِ ومُصْطَلَحاتِهِ**

أ.د. مازن المبارك ٢٩٥-٣١٢

● **الوضوحُ الدَّلاليُّ فِي المعارفِ وأَثَرُهُ فِي بنائِها وإِعرابِها**

د.محمد رباع ٣١٣-٣٣٩

● **القَصَصُ الاجْتِمَاعِيُّ فِي شِعْرِ الزَّهَاوِيِّ**

د. أحمد السيد أحمد حجازي ٣٤١-٣٩٠

مِنْ رُوَّادِ التَّجْدِيدِ
فِي الدِّرَاسَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ(*)

د. سلامة محمد البلوي(**)

مُلَخَّصُ البَحْثِ

تهدفُ هذه الدِّراسةُ إلى تَتَبُّع رحلة التَّجْديد في الدِّراسات التَّاريخيَّة خلالَ تسْعَة قُرُون من عمر حضارتنا الإسلاميَّة . وقد اشتملت الدراسةُ على مبحثين مسبوقةَ بمقدّمة سلَّطت الضَّوء على إشكاليَّة مصطلح التَّجْديد ، وتباين وجهات النّظر فيه، وانعكاس ذلك على الشُّروط الواجب توافرُهَا في المُجَدِّد .

تناول المبحثُ الأوَّلُ رحلةَ التَّجْديد في القرون الثَّلاثة الأولى من خلال التَّركيز على عشرة من المؤرخين المجدِّدين ، مظهراً إضافاتهمْ وملامحَ حياتهمْ من خلال جداولَ خُصِّصَتْ لذلك مشفوعة بمؤشرات تلك الجداول .

أمَّا المبحثُ الثَّاني فَخُصِّصَ لروَّاد التَّجْديد في الدِّراسات التَّاريخيَّة ما بينَ القرن الرَّابع ونهاية القرن التَّاسع الهجريّ ، تمَّ تسليطُ الضَّوء فيه على إسهامات أحدَ عشرَ مؤرخاً مجدّداً وإضافاتهم في مختلف حقول الدِّراسات التَّاريخيَّة .

وقد تَبَيَّنَ من خلال الدِّراسة أنَّ من أبرز صفَات المجدِّد : القدرة العالية على التنظيم والاستقصاء والتَّحْليل ، والنَّقْد والتَّمْحيص ، فضلاً عن النَّزْعة الاستقلاليَّة في التَّفْكير والسُّلوك إلى جانب الثَّقافة الموسوعيَّة . كما تَبَيَّنَ أيضاً أنَّ معظم نتائج المُجَدِّدينَ في حقل الدِّراسات التَّاريخية تَمَحْوَرَ حول التَّاريخ الحضاريّ بفروعه المتعدّدة ، وأنَّ نسبةً عاليةً من المجدِّدينَ ممَّن تركوا بصمات واضحةً في حركة التَّجْديد كانوا ممَّنْ عَملُوا في وظائفَ رسميَّة في الدَّولة ، علماً بأنَّ الفقهاءَ شَكَّلُوا أكبرَ نسبة من المُجَدِّدين ، وأشارت الدِّراسةُ كذلكَ إلى أنَّ نسبةً لا بأسَ بها من المجدِّدين كانوا ممَّن حُرِمَ نعمةَ البصر ، وهذا إن دلَّ على شيء فَإنَّما يدلُّ على عَظَمَة الحضارة الإسلاميَّة التي وفَّرت لهم الجوَّ المناسب ليبدعُوا ويكونوا من رُوَّادِ التَّجْديد .

(*) كانت نواةُ التَّفكير في هذا البحث قد بدأت في الجامعة الإسلاميَّة بماليزيا بتشجيع من مركز البحوث فيها.

(**) أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلِّيَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة بدبي .

البحث

يُعَدُّ مصطلحُ التَّجْديدِ من المصطلحاتِ التي تضرب جذورها في أعماق تاريخنا الفكري، فقد نال حَظَّهُ من الشَّرحِ والتَّعْليق من قبل علماء الأمة على مختلف مذاهبهم وتخصصاتهم.

فما سِرُّ الاهتمامِ بهذا المصطلحِ؟ وهل هناك تعريفٌ جامعٌ مانعٌ له؟ وإذا كان كذلك فمتى بدأ الاهتمامُ برصدِ المجدِّدين في تاريخنا الإسلاميِّ؟ وما الشُّروطُ التي يجب توافرُهَا في المُجَدِّد؟ وهل يمكننا في نهاية المطاف رصدُ المجدِّدين في الدِّراسات التَّاريخيَّة في ضوء تلك الشروط؟.

لقد كانتْ نقطةُ البدايةِ لاهتمامِ علماءِ الأُمَّةِ بهذا المصطلح نابعةً من محاولةِ شرحِ الحديث النَّبَويِّ المعروف : «**يبعثُ لهذه الأُمّة على رأس كلِّ مئةِ سنةٍ من يُجَدِّدُ لها أمرَ دينها**»[1] وتفسيره، فتعدَّدت الشُّروحُ والتَّفسيراتُ بتعدُّدِ الأفهام وتَغَيُّرِ الأزمان، ولكن بقي الرَّابطُ المشتركُ بين هذه الشُّروح والتَّفْسيراتِ هو أنَّها حصرت التَّجديدَ في علومِ الدِّينِ وعلماء الشَّريعة، وأنَّها رَكَّزَتْ على المُجَدِّدين أكثرَ من تركيزِها على تعريفِ التَّجْديد، وحصرت هَمَّها في تحديد المُدَّةِ الزَّمنيَّةِ التي يظهر فيها المجدِّدُ وهي السنوات الأخيرة من نهاية كلِّ قرن[2].

إنَّ المتأمِّلَ لمعاجم اللغة العربيَّة[3] والآيات القرآنيَّة[4] والأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة التي ورد فيها هذا المصطلح بشكل أو بآخر، يجده لا يتعدَّى في معناه : الإحياء والبعث، والإعادة[5]. ولكنَّ المُتَتَبِّعَ لهذا المصطلح في مصادرنا التُّراثيَّةِ يلاحظُ أنَّ مفهوم هذا

١- أبو داود: سنن أبي داود، ج٤، ص١٠٩ (كتاب الملاحم)؛ ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير، ص١٤٣.

٢- د.يوسف القرضاوي: تجديد الدِّين في ضوءالسنة، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، ع٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. ص١٦-٢١.

٣- ابن منظور : لسان العرب، ج٣، ص١١١؛ الجوهري: الصحاح، ج١، ص٤٥١؛ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج١،ص ٤٠٩.

٤-لم يأت في القرآن لفظ جدد أو لفظ التجديد، ولكن جاءت كلمة جديد، انظر : على سبيل المثال سورة سبأ، الآية ٧؛ وسورة ق، الآية ١٥.

٥- بسطامي محمد سعيد : مفهوم تجديد الدين، ص ١٨.

المصطلح أخذَ يَتَّسِعُ مع مَرِّ العصور، ولكنه بقي يسبح في آفاقِ العلومِ الشَّرعيَّة وعلمائها الذين لم يتفقوا على تعريفٍ جامعٍ مانعٍ له.

إنَّ بداية الاهتمام بمصطلح التَّجديد بشكل واضح في تاريخنا الإسلاميِّ تعود بنا إلى القرن الأوَّل الهجري، وبالتَّحديد إلى الإمام محمد بن شهاب الزُّهْريِّ (٥١-١٢٤هـ/٦٧١-٧٤٢م)[١]، الذي يُعَدُّ من أوائل من أثاروا الاهتمام بهذا المصطلح، ومن بعده الإمام أحمد ابن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)، الذي سَجَّل وجهة نظره في مُجَدِّدي القرنين الأوَّل والثَّاني[٢].

أمَّا الإمام جلالُ الدِّين السُّيوطيُّ (ت ٩١١هـ /١٥٠٥م)، فقد نظم أرجوزة من ثمانية وعشرين بيتًا أسماها (تحفة المهتدين بأخبار المُجَدِّدينَ)[٣]. كما كتب وريقات عن المجدّدين بعنوان (التنبئة فيمن بعثه الله على رأس كلِّ مئة)[٤] وكان قبلَهُ تاجُ الدِّين أبو النصر عبدالوهاب السّبكي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) قد نظم قصيدة من عشرين بيتًا ذكر فيها أَسماءَ المجددين حتى عصره[٥]، وتجدر الاشارةُ إلى أنَّ جميع الذين تناولوا الحديث النَّبويَّ المتعلِّقَ بالتَّجْديد من المحدِّثين والفقهاء والمؤرِّخين قد أدلوا بدلوهم في محاولة تحرير معنى هذا المصطلح، وذكر من يرونهم أهلاً لحملِ لقبِ المجدِّد.

لقد كانَ من نتائج عدمِ اتفاقِ علماءِ الأُمَّة على تحديدِ معنًى دقيقٍ لمصطلح التَّجْديد أن تباينت الآراءُ حولَ الشُّروط التي يجب توافرُها في المجدِّد ممَّا ترتَّب عليه تباينٌ في قوائم المجدِّدين من حيثُ العددُ والأسماءُ في مصادرنا الإسلاميَّة ولعلَّ النَّاظر إلى قائمة، مجد الدين بن الأثير (-٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، وقائمة جلال الدِّين السُّيوطيِّ (٩١١هـ/١٥٠٥) يجدُ ما يؤكِّدُ هذا التَّباين، وما يساعد في الوقت نفسه على الخروجِ ببعضِ الاستنتاجاتِ التي تعين على تجلية مفهوم التَّجْديدِ، وتجعله أكثرَ وضوحًا.

١- انظر إسهاماته في التجديد في الصفحات الآتية.

٢- ابن حجر: توالي التأسيس، ص٤٨؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج١، ص١٩٩.

٣- المناوي: فيض القدير، ج٢، ص ٢٨٢.

٤- أحمد الشرقاوي: مكتبة الجلال السيوطي، ص١٤٦.

٥- السبكي: المصدر السابق، ج١، ص٢٠١-٢٠٣.

قائمة ابن الأثير:

المئة الأولى

١- عمر بن عبدالعزيز	خليفة[١]
٢- محمد بن علي الباقر	من فقهاء المدينة
٣- القاسم بن محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق	من فقهاء المدينة
٤- سالم بن عبدالله بن عمر	من فقهاء المدينة
٥- مجاهد بن جبر	من فقهاء مَكَّة
٦- عكرمة مولى ابن عباس	من فقهاء مَكَّة
٧- عطاء بن أبي رباح	من فقهاء مَكَّة
٨- طاووس	من فقهاء اليمن
٩- مكحول	من فقهاء اليمن
١٠- عامر بن شراحيل الشَّعبي	من فقهاء الكوفة
١١- الحسن البصري	من فقهاءالبصرة
١٢- محمد بن سيرين	من فقهاء البصرة
١٣- عبدالله بن كثير	من فقهاء القراء
١٤- محمد بن شهاب الزُّهري	من فقهاء المُحَدِّثين

المئة الثَّانية

١-المأمون بن الرشيد	خليفة
٢- الإمام محمّد بن إدريس الشَّافعي	أحد الأئمة الأربعة الفقهاء[٢]
٣- الحسن بن زياد اللؤلؤي	من أصحاب أبي حنيفة
٤- أشهب بن عبدالعزيز	من أصحاب مالك
٥- علي بن موسى الرِّضا	من الإماميَّة

١- عُدَّ من رواد التجديد لجهوده الجبارة في إصلاح الدولة الأموية ورده للمظالم، ونشره للعدل، لذا يُعَدُّ الخليفَة الراشد الخامس عند كثير من علماء الأمة، انظر : ابن كثير : البداية والنهاية، ج٩،ص ٢٠٠.

٢- من أبرز إضافاته، تدوين أصول الفقه، فضلاً عن تأسيسه للمذهب المعروف باسمه، يزاد على ذلك إضافاته في اللغة والحديث والفقه، انظر : ابن أبي حاتم: مناقب الشافعي، ص١٣٦.

٦- يعقوب الحضرمي	من القرَّاء
٧- يحيى بن مَعين	من المحدِّثين
٨- معروف الكرخي	من الزُّهاد

المئة الثَّالثة:

١- المقتدر باللَّه	خليفة
٢- أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج	من فقهاء الشَّافعيَّة
٣- أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة الطَّحاوي	من فقهاء الحنفيَّة
٤- أبو بكر أحمد بن محمّد بن هارون الخلال	من فقهاء الحنابلة
٥- أبو جعفر محمد بن يعقوب الرَّازي	من الإماميَّة
٦- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأَشْعريّ	من المتكلّمين [١]
٧- أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النّسائيّ	من المحدِّثين

المئة الرابعة :

١-القادر باللَّه	خليفة
٢- أبو حامد أحمد بن طاهر الأسفراييني	من الشَّافعيَّة
٣- أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي	من الحنفيَّة
٤- أبو محمد عبدالوهَّاب بن علي بن نصر	من المالكيَّة
٥- أبو عبداللَّه الحسين بن علي بن حامد	من الحنابلة
٦- المرتضى الموسوي	من الإماميَّة
٧- القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني	من المتكلِّمين
٨- أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك	من المتكلِّمين

١- له جهود كبيرة في تصحيح الانحرافات، وتصديه للمعتزلة والردّ عليهم بعد ما كان من كبار علمائهم. لمزيد من التفاصيل عن جهوده انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٣،ص٣٨٥.

٩- أبو عبدالله محمد بن عبدالله النَّيسابوري الحاكم من المحدِّثين
١٠- أبو الحسن علي بن أحمد الحمامي من القرَّاء
١١- أبو بكر محمد بن علي الدينوري من الزُّهاد

المئة الخامسة :

١- المستظهر بالله خليفة
٢-أبو حامد الغزالي من الشَّافعيَّة
٣- القاضي فخر الدين محمد المروزي من الحنفيَّة
٤- أبو الحسن علي بن عبيدالله الزغواني من الحنابلة
٥- رزين بن معاوية العبدري من المحدِّثين
٦- أبو العز محمد بن الحسين بن بندار من القُرَّاءِ

قائمة السُّيوطيّ:(١)

القرن الأوَّل: عمر بن عبدالعزيز (ت١٠١هـ/٧١٩م)

القرن الثَّاني: الشَّافعيّ (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م)

القرن الثَّالث: أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ/٩٣٥)، أو أبو العباس بن سريج (٣٠٦هـ/٩١٨م).

القرن الرَّابع: الباقلاني (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، أو الأسفراييني (٤٠٦هـ/ ١٠١٥م).

القرن الخامس: الغزالي (٥٠٥هـ/١١١١م).

القرن السَّادس: الرَّازي (٦٠٦هـ/١٢٠٩ أو الرَّافعي ٦٢٣هـ/١٢٢٦م).

القرن السَّابع: ابن دقيق العيد (٧٠٣ هـ/١٣٠٣م).

القرن الثَّامن: سراج الدِّين البُلْقِيني (٨٠٥هـ/١٤٠٢م) أو زين الدِّين العراقيّ (٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

القرن التَّاسع: السُّيوطي (٩١١هـ/١٥٠٥م).

١- البسطامي : المرجع السابق، ص٤٣.

وقد نَصَّ السُّيوطيُّ على هذه الأسماءِ في منظومته المشهورة التي نقلها لنا العلاَّمة المناوي في (فيض القدير)[1] والتي يقول فيها :

الحمدُ للَّهِ العظيمِ المِنَّه ... المانحِ الفَضْلِ لأهلِ السُّنَّه

ثُمَّ الصَّلاة والسَّلام نلتمس ... على نبيٍّ دينُهُ لاَ يَنْدَرِس

لقد أتى في خبرٍ مشتهر ... رواه كلُّ عالمٍ معتبر

بأنَّهُ في رأس كلِّ مئة ... يبعثُ ربُّنا لهذي الأمة

منَّا عليها عالمًا يُجَدِّدُ ... دين الهدى لأنَّهُ مجتهد

فكان عند المئة الأولى عمر ... خليفة العَدْلِ بإجماعٍ وقر

الشَّافعيُّ كانَ عندَ الثَّانيه ... لما له من العلومِ السَّاميه

وابن سريج ثالث الأئمه ... والأشعريّ عدّه من أمّه

والباقلاني رابع أو سهل أو ... الاسفرايني خلف قد حكوا

والخامسُ الحبرُ هو الغزالي ... وَعدُّهُ ما فيه من جدالِ

والسَّادس الفخرُ الإمامُ الرَّازي ... والرافعيُّ مثله يوازي

والسَّابعُ الرَّاقي إلى المراقي ... ابنُ دقيق العيدِ باتفاقِ

والثَّامنُ الحبرُ هو البلقيني ... أو حافظُ الأنامِ زينُ الدِّين

والشَّرطُ في ذلك أن تمضي المئه ... وهو على حياتِه بينَ الفئه

يُشَارُ بالعلمِ إلى مَقَامِهِ ... ويَنْصُرُ السُّنَّةَ في كلامه

وأن يكونَ جامعًا لكلِّ فن ... وأن يَعُمَّ عِلْمُهُ أهلَ الزَّمن

وأن يكونَ في حديثٍ قَد رُوي ... من أهلِ بيتِ المصطفى وقد قوي

وكونُهُ فرداً هو المشهورُ ... قد نطقَ الحديثُ والجمهورُ

١-ج٢، ص٢٨٢.

وهـــذه تـــاســـعـــةُ المئين قـــد ... أتت ولا يـخـلـف مـا الـهـادي وعـد

وقـــد رجـــوت أنَّـــنِـــي المجدّدُ ... فـيـهـا بـفـضـل اللّـه لـيس يـجـحـدُ

وآخـــر المئين فـيـمـا يـأتـي ... عـيـسـى نـبـيُّ الـلّـه ذو الآيـات

يُـجَـدّدُ الـدّيـنَ لـهـذي الأُمَّـه ... وفي الصَّلاة بَعْضُنا قد أمَّه

مُـقَـرِّرٌ لشـرعـنـا ويَـحْـكُـمُ ... بـحـكـمـنـا إذ في السَّماءِ يعلمُ

وبَـعْـدَهُ لم يَـبْـقَ مـن مجدّد ... ويُـرْفَـعُ الـقـرآنُ مـثـل مـابُـدِي

ويمكننا أن نخرج بالمؤشرات الآتية عند تأمل القائمتين السَّابقتين :

١- أنَّ ابن الأثير أورد أسماء ٤٧ مُجَدِّداً خلال خمسة قرون بينما ذكر السيوطي ١٣ مُجَدِّدًا خلال تسعة قرون، لإيمان السيوطي بأنه لا يكون في القرن إلا مجدِّدٌ واحد، فقد صَرَّح بذلك بوضوح حين قال :

وكـــونُـــهُ فـــردًا هـــو المَشْـــهـــورُ ... قَـــدْ نَـــطَـــقَ الحديثُ والجمـــهـــورُ

في حين أنَّ ابن الأثير كانت نظرته أكثرَ شمولاً لمفهوم التَّجْديد والمُجَدِّدينَ، فأورد مجموعة من المجددين لكلِّ قرن.

٢- أنَّ توزيع المجدِّدين حسب التَّخَصُّصاتِ عندَ ابن الأثير كان على النَّحْو الآتي :

الفقهاء	٢٥	٥٣,١٩٪
الحُكَّام (ولاة الأمر)	٥	١٠,٦٣٪
المحدِّثون	٥	١٠,٦٣٪
القُرَّاء	٤	٨,٥٢٪
المتكلِّمون	٣	٦,٣٨٪
الإماميَّة	٣	٦,٣٨٪
الزُّهاد	٢	٤,٢٥٪
	٤٧	١٠٠٪

نلاحظ أنَّ الفقهاء شَكَّلُوا أكبرَ نسبةٍ من المُجَدِّدين، كما أنَّ القائمة شملت جميع المبدعين أو المجدِّدينَ بغضِّ النَّظرِ عن انتمائهم الفكريِّ والمذهبيِّ وهذا يدلُّ على سعةِ نظرةِ الإمامِ ابنِ الأثيرِ رحمه اللَّه، بينما نجد الإمام السُّيوطيَّ يحصر التَّجْديدَ بأهل السُّنَّةِ والجماعة، ويستبعد غيرهم، لا بل إنه ركزَّ بشكلٍ واضحٍ على الفقهاء.

والملاحظة الأخيرة التي نخرج بها من هذين الجدولين أنَّ علماء الأمة وضعوا شروطًا عديدة للمجدد يمكن إجمالها بما يأتي :

١- أن تكونَ له القدرةُ على نقلِ المعاني الصَّحيحةِ للنُّصوصِ وإحياء الفهم السَّليم لها.

٢- أنْ يؤمنَ بالحُجَّةِ والبُرْهانِ منهجًا من مناهجِ البحثِ مع مقدرةٍ عاليةٍ على استحضارِ الأدلَّةِ والبراهين على ما يُقَدِّمه من آراء.

٣- أن يكونَ ذا ملكةٍ قويَّةٍ تستطيعُ استنباطَ الحقائقِ والدَّقائق، متميزًا بنظرهِ الثَّاقب.

٤-أن يكونَ ذا ثقافةٍ موسوعيَّةٍ تمكنه من التَّمييزِ بينَ المُحَرَّفِ والمنحول، والصَّحيح[١].

٥- أن تعترفَ الأمةُ له بالعلمِ والتَّقَدُّمِ فيه أو كما يقول السُّيوطيُّ :

يُشَارُ بالعلمِ إلى مَقَامِهِ ... ويَنْصُرُ السُّنَّةَ في كلامِهِ

وأنْ يكونَ جامعًا لكلِّ فنْ ... وأن يَعُمَّ عِلْمُهُ أهلَ الزَّمنْ

٦- أن تكونَ جهودُهُ الإصلاحيَّةُ ذاتَ تأثيرٍ في اتجاهاتِ الفكر والعلم في حياة النَّاس، ومن المعاييرِ التي تُساعِدُنا على معرفة تأثير المجدِّد، معرفةُ ما تركه خلفه من آثارٍ وأصحابٍ ينشرون آراءه، ويوسعون دائرةَ الانتفاعِ بمصنفاته، وبعبارة أخرى أن يَتَكَوَّنَ في حياةِ المُجَدِّدِ ومن بعده اتجاهٌ علميٌّ، وعملٌ متميز، أو مدرسة، أو مذهب، أو حركة، أو جماعةٌ[٢].

لقد حصر التَّجديد في ضوء ما تقدم في الفقه، والحديثِ وعلمِ الكلامِ، والسِّياسة، وعلم القراءات، والزُّهد. وهذا الحصر كما تقدَّم نابعٌ من تمحورهم حولَ شرحِ الحديثِ النَّبويِّ المتعلِّق بالتَّجْديد، ويبدو أنَّ هذا الحصر يمكن التحرر منه إذا أردنا أن نعطي مفهومًا أوسعَ للتَّجْديد بحيث يشملُ كلَّ من أسهم بشكل جَلِيٍّ في بعث مسيرة الأمة أو إحيائها أو دفعها

١-المناوي: المصدر السابق، ج١،ص١٠؛ البسطامي: المرجع السابق، ص٢٥.

٢- المحبي: خلاصة الأثر، ج٣، ص٣٤٦؛ البسطامي: المرجع السابق، ص٣٣.

إلى الأمام بعد ما اعتراها الوهنُ والضَّعفُ والتَّراجعُ سواء على المستوى الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو السياسي، أو الديني، أو الفكريِّ مستفيدين من الشُّروط التي وضعها علماءُ الشَّريعةِ للمُجَدِّد، **وعليه يمكن تعريف المُجَدِّد بأنَّهُ عالمٌ مجتهدٌ متميزٌ تركَ بصماتٍ واضحةً في حياةِ الأمَّةِ أسهمت بشكل أو بآخر في الحفاظِ على هُويتها أو بعث النَّشاط والحيويَّة فيها بعد ما اعتراها الضَّعْفُ والتَّراجُع**، ومن هنا تحاولُ هذه الدراسةُ تَتَبُّعَ المجدِّدينَ الذين تركوا بصماتٍ واضحةً في تَطوُّرِ الدِّراساتِ التَّاريخيَّةِ كمًّا وكيفًا ومنهجًا وتوظيفًا وأسلوبًا وتوثيقًا ممَّا كان له أثرٌ ملموسٌ في حياة الأُمَّةِ التي يُعَدُّ التاريخُ سِجِلَّ ذاكرتها الذي يُزَوِّدُها بالتَّجَارِبِ والعبر التي تساعدُها على دفعِ فعلها الحضاريِّ والحفاظ على هويتها الثقافيَّة.

إنَّ هذه الدِّراسةَ تحاولُ تقديمَ معلوماتٍ مختصرةٍ عن رواد التَّجْديد في الدِّراسات التَّاريخيَّةِ مركزين على ما أضافه كلُّ واحد منهم من جديدٍ على مختلف المستويات المتعلِّقة بالدِّراساتِ التاريخيةِ ليخرجَ القارئُ في نهاية المطاف بتصوُّرٍ عن رحلة التَّجْديدِ في الدِّراساتِ التَّاريخيَّةِ خلال تسعة قرون من عُمُرِ حضارتنا الإسلاميَّةِ المديد، وذلك لتفادي النَّظرةِ الجزئية التي تركِّزُ على لونٍ واحدٍ من ألوان التَّجديد، ليضافَ المجدد في حقل الدراسات التاريخية إلى المجددين في حقول المعرفة الأخرى لتتضحَ الصُّورةُ عن رحلة التجديد في حضارتنا الإسلامية التي تشهد على هوية هذه الأمة ونشاطها، وأنها أمةٌ دائمةُ الحركةِ، يسري التَّجديد في أوصالها، ولم يتوقف في يوم من الأيام ولكن الذي يبدو هو ضعف زخم هذا التجديد وقلة تدفقه في شرايين الأمة التي تبدو لعدم وصول دفع التجديد إلى كلِّ أوصالها أنَّها أُمَّةٌ قد شلَّت أو على وشكِ الشَّلل.

المبحثُ الأوَّلُ

رُوَّادُ التَّجْديدِ في الدِّراساتِ التَّاريخيَّةِ الإسلاميَّة في القرونِ الثَّلاثةِ الأُولى[1]

لقد قَدَّمَتْ لنا هذه القرونُ أكثرَ من ٦٠٠ كتاب وبحث ورسالة، كَتَبَ ٦٥٪ منها كلٌّ من المدائنيِّ (٢٢٥هـ/٨٤٠م)، وابنِ الكلبيِّ (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) إذ كَتَبَ الأوَّلُ ٢٤٠ كتاب، وكتب الثَّاني ١٥٠ كتابٍ ورسالة. وقد اقتبست هذه الكتبُ والدِّراساتُ والأبحاثُ معظمَ مناهجها عن علم الحديث، وقد جَعَلَتْ هذه الدِّراساتُ محورَ اهتمامِهَا تدوينَ السِّيرةِ والمغازي أوَّلاً ورَصْدَ حركةِ تاريخ الأمَّة من مختلف جوانبِهِ السِّياسيَّة، والاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّة، والدينيَّةِ، والحضاريَّةِ ثانيًا، معتمدين في عملية الرَّصد والتدوين على المصادر الشَّفويةِ والمكتوبةِ سواء أكانت كتبًا مسطورة، أو سجلات ووثائقَ رسميَّة، مخضعين المادَّةَ المستلَّة من تلك المصادر للتَّفسيرِ والتَّعْليلِ والتَّحليلِ والنَّقد، على وفْقِ المنهجِ الذي اختطَّهُ أهلُ الحديث، إلا أنَّ هذه العلاقةَ ما بين الحديثِ والتاريخِ نجدها تضعفُ في أواخرِ القرنِ الثَّالث، إذ سقط الإسناد تدوينًا وقيمةً توثيقيَّةً في الدِّراساتِ التَّاريخيَّة، وبانقراض هذا المنهج انقرضت أهمُّ صلةٍ بينَ التاريخِ وعلمِ الحديث، وأعلنَ التَّاريخُ استقلالهُ بمنهجه الخاصِّ، فقد كان الطَّبريُّ (٣١٠هـ/٩٢٢م) آخَرَ ممثلٍ للطريقةِ الحديثيَّة، والمسعوديُّ (ت٣٤٥هـ/٩٥٧م) أبرز ممثل للطَّريقة اللاسندية.

لقد كانت الفئاتُ المعارضةُ في القرونِ الثَّلاثةِ الأولى من أنشطِ الفئات كتابةً للتَّاريخ، أي: لم يكن التدوينُ التَّاريخيُّ عملاً رسميًّا ولم يكن في يومٍ من الأيام كذلك طوال تاريخنا الإسلاميِّ ما عدا حالاتٍ شاذَّةً لا يقاسُ عليها. كما يمكننا رصدُ تَطَوُّرِ ظهورِ مفهومِ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ في كتابات المؤرِّخين في هذه المدَّة، وبروز حقوق الخليفة والإمام وأفكار الطاعة لأولي الأمر والجماعة[2]. وسأحاولُ في الصَّفحات الآتية تسليطَ الضَّوءِ بشكل مختصر

(١) تعد هذه القرون أفضل عصور هذه الأمة لقوله عليه الصلاة والسلام :«خير أمتي القرنُ الذي يلوني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته» صحيح مسلم بشرح النووي: مج ٨، ص١٦، ٨٤-٨٥ (كتاب الفضائل باب فضل الصحابة).

(٢) شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص٨٣-٩١.

على بعض رواد هذه الحقبة محاولاً تَتَبُّعَ إضافاتِ هؤلاءِ الروادِ بشكلٍ مختصر من خلال مراقبة تدوين المادة وتنظيمهاوما يرافق ذلك من عملياتٍ منهجيَّة.

١ - محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزُّهْري (٥١-١٢٤هـ/٦٧١-٧٤٢م)[١]

يُمَثِّلُ المحدِّثُ والفقيهُ والمؤرِّخُ الزُّهريُّ طلائعَ المؤرِّخين المجدِّدين في الفكر التَّاريخي، وهو من الرُّوَّادِ الذين تركوا بصماتٍ واضحةً في حركة التَّدوين التَّاريخي، سواء على مستوى الوعي بمفهوم التاريخ أو على مستوى المناهج التي اختطَّها لمن جاء بعده.

لقد أبان الزُّهريُّ عن نضج في فهمه لمعنى التاريخ من خلال نظرته الشُّموليَّةِ لأحداثه، وإيمانه بوحدة تجاربه، وتجلَّى هذا الفهمُ من خلال نظرته للسِّيرةِ النَّبويَّةِ التي جعل إطارها من بدءالخليقة إلى وفاة المصطفى ﷺ[٢]، على وفق منهج يَتَّخِذُ من تاريخِ الأنبياءِ منطلقًا لفهمِ تاريخِ الإنسانيَّة، وقد أخذ هذا المنهج مساره كأحدِ المناهجِ المعتبرةِ في كتابةِ التَّاريخ[٣].

كما يظهرُ وعيُ الزُّهريِّ لمعنى التَّاريخِ من خلالِ رصده للأحداث المحوريةِ التي أَثَّرَتْ في مسيرة الأمة مثل : انتخاب كلّ من الصِّدِّيق وعليٍّ (رضيَ اللَّهُ عنهما) والشُّورى والفتنة، والحرب الأهليَّة، وانتقال السُّلطة للأمويين، وجمع القرآن، وتأسيس الدِّيوان، وغيرها من الموضوعات التي تركت آثارَها في حياةِ الأُمَّة.

وممَّا يذكر للزُّهريِّ أيضًا أنه يُعَدُّ من أوائل من أدخل التَّسَلْسُلَ التَّاريخيَّ للحوادث، فضلاً عن أنَّه سارَ خطوةً مُهِمَّةً نحو الكتابةِ التَّاريخيَّةِ المُتَّصِلَةِ من خلال إدخاله لما يعرف بالإسناد الجمعي، وذلك بدمجِ عِدَّةِ رواياتٍ في خبرٍ متسلسل، ومن ثمَّ جمع الأخبار المتعلِّقة

(١) لمزيد من التفاصيل عن الزهري انظر : الذهبي : تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق، ص٧٣-٧٤؛ عبدالعزيز الدوري: نشأة الكتابة التاريخية، ص٩٨؛ شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص١٥٧-١٥٨؛ شوقي الجمل: علم التاريخ نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه، ص٤١-٤٢.

(٢) يُعَدُّ وهب بن منبه (٣٤-١١٤هـ/٦٥٤-٧٣٢م) من أوائل من وضعوا هيكلاً وإن كان قصصيًّا للتاريخ العالمي من خلال تاريخ الأنبياء، لمزيد من التفاصيل عن وهب انظر : ابن النديم : الفهرست، ص١٠٣-١٠٥، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٦، ص١٣٤؛ الذهبيّ : سير أعلام النبلاء، ص٧، ص٢٠١؛ خير الدين الزركلي : الأعلام، ج٥، ص٣٨؛ شاكر مصطفى: المرجع السَّابق، ج١، ص١٧٩-١٨٠.

(٣) يُعَدُّ محمد بن إسحاق (٧٥-١٥١هـ/٦٩٤-٧٦٨م) من أوائل من استثمر هذا المنهج، وقدَّم لنا أقدمَ وأكملَ سيرة نعرفها للنبي ﷺ والتي أصبحت نموذجًا يحتذى من كتاب السير. لمزيد من التفاصيل عن ابن إسحاق انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧،ص٣٣؛ ميزان الاعتدال، ج٣، ص٦٤٨؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج١، ص٧٠؛ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج١،ص٢١٤؛ شاكر مصطفى :المرجع السابق، ج١،ص١٦٠-١٦٢.

بموضوعٍ واحدٍ وتقديمها على وفق أسلوب ونسق موحَّد، ويُعَدُّ هذا المنهج الأساس الذي بنى عليه الجيلُ التَّالي من المؤرِّخين منهج كتاباتهم التَّاريخيَّة.

٢- عوانة بن الحكم (ت١٤٧/٧٦٥م)

أخباريٌّ كوفيٌّ من رُوَّاد المدرسة الإخباريَّة العراقيَّة، وقد خطا بالكتابة التَّاريخيَّة خطواتٍ إلى الإمام : أُولاها أنه يُعدُّ أوَّلَ من أَلَّفَ كتابًا يحمل عنوان (التَّاريخ) بمعنى التَّاريخ بوصفه علمًا، وهو كتابٌ يتناولُ أحداثَ التَّاريخ الإسلاميِّ في القرن الأوَّل الهجري، ويُعَدُّ البدايةَ للكتابة التاريخيَّة العامَّة التي تتصفُ بالشُّمولِ أي : إنه نَقَلَ الكتابةَ التاريخيَّةَ من الجزء إلى الكل، ومن ثَمَّ يكون عوانةُ قد خطا خطوةً نحو الخلاصِ من أسرِ القبيلةِ التي كانت تحكم في أطرها كتابات من سبق عوانة.

أمَّا الخطوةُ الثَّانيةُ المميزةُ في مسيرة تَطَوُّرِ مناهجِ المؤرِّخينَ فهي الاتجاهُ نحو التَّخَصُّص، إذ يُعَدُّ عوانةُ أَوَّلَ من كتبَ كتابًا يَخْتَصُّ بخليفة وأسرة حاكمة، وهو كتاب يحملُ عنوان :سيرة معاوية (رضي الله عنه) وبني أمية. لذا ليس مستغربًا أن يكون عوانة المصدرَ الذي استقى منه ابنُ الكلبي، والمدائنيُّ والهيثم بن عدي، وعن طريق هؤلاء نقل الطَّبري.

لقد كان عوانةُ لا يَتَعَصَّبُ للأمويين، فنجد مقتطفاتٍ من رواياته عند البلاذري في (أنساب الأشراف) بجانب الزبيريين وأخرى ضدّ الحجاج، ولدى الطَّبريِّ رواياتٌ بجانب العلويين وأخرى ضدّ الكوفة، أي : إنَّ عوانة كان يَتَمَيَّزُ بالتَّجَرُّدِ أو ما يعبر عنه بلغة اليوم بالموضوعيَّةِ مِمَّا يجعلُهُ محلَّ ثقةِ المؤرِّخينَ الكبارِ أمثال البلاذري والطبريِّ وغيرهما(١).

٣- الهيثمُ بنُ عدي بن عبدالرحمن (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م)

يحتلُّ مكانةً خاصَّةً في تَطَوُّرِ الكتابة التاريخيَّة لا لجمعه بينَ التَّاريخ والأنساب فقط، ولكن للطريقة التي تناولَ بها التدوينَ وللمفهومِ التَّاريخيِّ عنده، وقد أَلَّفَ ما يقاربُ خمسينَ كتابًا في العلوم المختلفة، ويذكر للهيثم بن عدي الأمور الآتية :

(١) ابن النديم : الفهرست، ص١٠٣، ١٠٥؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٦، ص١٣٤؛الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٠١؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٣٨؛ شاكر مصطفى : المرجع السابق، ج١، ص١٧٩-١٨٠.

أ- أنه أَوَّلُ من كتب التَّاريخَ في إطار النَّسَبِ من خلال كتابه (تاريخ الأشراف الكبير)، وقد قَلَّدَهُ من جاء بعده أمثال البلاذري (أنساب الأشراف)، فضلاً عن خمسين كتابًا في أنساب القبائل.

ب- أنه أَوَّلُ من كتب في الطَّبقات (طبقات الفقهاء والمحدّثين) ولعلَّهُ أَوَّلُ كتاب من نوعه على هذا المنهج، سبق به ابن سعد الذي يُظَنُّ أنَّهُ نسجَ على منواله في (الطَّبقات الكبرى)، وهذا المنحى الذي نحاه الهيثم في التأليف يُعَبِّرُ عن إدراكٍ لتسلسل التُّراث الإسلاميِّ ووحدته من خلال الأجيال المتتابعة من علمائه طبقةً بعدَ طبقة، وهي نظرةٌ تستحقُّ التقدير، لأنها نظرةٌ تَعُدُّ العلماءَ ممثلي الأمَّةِ وأحَقَّ بالتدوين من غيرهم.

ج- أنَّهُ أَوَّلُ من كَتَبَ بشكلٍ واسعٍ في الشُّؤونِ الحَضَارِيَّة والنُّظُمِ السِّياسيَّة والاجتماعيَّةِ والقضائيَّة، والآثار... فقد كَتَبَ في خططِ الكوفةِ والبصرة، والولاة والقضاة، والشرطةِ والنساء، ومن تزوَّجَ من الموالي من العرب، وأسماء بغايا قريش في الجاهلية ومن ولدن، والنوادر والمواسم، وجمع بذلك معلومات طوبوغرافيَّة وجغرافيَّة وسكانيَّة وإداريَّة وقضائيَّة عن بعض الأمصار تكشف عن مفهوم تاريخيٍّ متطوِّرٍ جدًّا وجدير بالتوقف عنده ولاسيما حين نجد له كتابًا يحمل عنوان (الدولة).

د- أنه أَوَّلُ من سَجَّلَ مطالعَ الاتصالِ بينَ الفكر التَّاريخيِّ الإسلاميِّ وتواريخ الأمم الأخرى وأَلَّفَ فيه.

هـ - الحوليات : يُعدُّ الهيثم من الرُّوَّادِ الذين أرسوا قواعد أسلوب الحوليات[1] في التَّأليف من خلال كتابه (التاريخ) المرتَّب حسبَ السنين، ويُعَبِّرُ الكتاب بشكلٍ واضحٍ عن إدراك الهيثم لمفهوم وحدة التَّاريخ الإسلاميِّ ووحدةِ الأمَّةِ الإسلاميَّة ووحدة تجاربها عبر القرون، ولعل كتاب التاريخ هو المثال الأقدم الذي نسج على منواله الطَّبري.

وللأسفِ الشَّديدِ لم يبقَ من مؤلَّفات هذا المؤرِّخ العبقريِّ سوى مقتطفات نجدها لدى البلاذري في (أنساب الأشراف)، وابن قتيبة في (المعارف)، والطَّبريّ في تاريخه، والمسعودي في مؤلفاته المختلفة[2].

---

(١) يُعَدُّ عبدالله بن أبي بكر بن حزم (توفي حوالي ١٣٠هـ/٧٤٨م) من أوائل من ابتكر الترتيب السنوي للحوادث، وبذلك يكونُ أَوَّلَ واضع للمنهج الحولي في التاريخ الإسلامي الذي أرسى قواعده الهيثم بن عدي، انظر: شاكر مصطفى : المرجع السابق، ج١، ص١٥٥-١٥٦.

(٢) الخطيب البغدادي: المصدر السَّابق، ج١٤،ص٥٠-٥١؛ ابن حجر : لسان الميزان، ج٦، ص٢١٠؛ ابن النديم : المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣؛ محمد بن صامل السلمي: منهج كتابة التَّاريخ الإسلامي، ص ٢٨٨؛ شاكر مصطفى : المرجع السابق، ج١، ص١٨٢-١٨٥.

٤- الواقدي، محمَّد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م)

يذكر له ابن النديم ٢٨ كتابًا، ونود أن نشير إلى أنَّ الجديد الذي أضافه الواقدي للكتابةِ التَّاريخيَّةِ أنَّهُ أدخلَ عنصرَ المعاينة ليكونَ شرطًا من شروط كتابة الخبر التَّاريخي، فقد قال: ما أدركت رجلاً من أبناء الصَّحابة أو أبناء الشُّهداء ولا مولى لهم إلا سألته : هل سمعت أحدًا من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قُتل، فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينه. ومن أشهر مؤلفاته : أزواجُ النَّبيِّ ﷺ، وأخبار مكة، وضربة الدنانير، والمغازي، وأدب الكاتب، ومراعي قريش[١].

٥- المدائني، علي بن محمَّد بن عبدالله (١٣٥-٢٢٥/٧٥٢-٨٤٠م)

يُعَدُّ من رُوَّادِ التَّاريخ الاجتماعيِّ والحضاري، فقد أَلَّفَ أربعين ومئتي كتابٍ، ويمكن اعتباره من الرُوَّادِ الذين تنبهوا على قيمة الرَّصدِ الاجتماعيِّ والحضاريِّ في حياة الأمة، ولعلّ نظرة على أسماء كتبه في هذا الحقل توضح النّقلة النوعيَّة التي انتقلت فيها الكتابةُ التاريخيَّةُ على يديه. ومن هذه المؤلفات : من جمع بين أختين، ومن جمع بين أربع، ومن تزوج مجوسية، ومن قتل عنها زوجها، ومن هجاها زوجها، ومناكح الأشراف وأخبار النساء، وحُليّ الخلفاء، ومن نُسب إلى أمه، ومن سُمِّي باسم أمه، ومن تشبّه من النساء بالرجال، وفضل الأَعرابيات على الحضريات، والخيل والرهان، وبناء الكعبة، وضرب الدراهم والصرف، وقضاة أهل البصرة، وكتاب المدينة، ومقالة في الكُوَر وجُبَاتِها.

حتى إنَّهُ كتب في التاريخ الشعري، مثل : من تمثل شعرًا في مرضه، والأبيات التي جوابها كلام، ومن وقف على قبر فَتَمَثَّلَ بشعر. ومنها أيضًا : أمهات النَّبيِّ ﷺ، وصفته، وعهود النَّبي، والرِدَّة، والجمل، والنَّهروان، والخوارج، وأخبار الحجاج ووفاته، وتسمية الخلفاء وكناهم وأعمارهم، ومن تزوج من نساء الخلفاء، كما كتب في الفتوح وغيرها .وهو بحقٍّ جهدٌ مدهشٌ في التأليف لا ينقص قدره كونه رسائلَ صغيرة.

والملاحظ أنَّ المدائنيَّ له قدرةٌ عجيبةٌ على استخلاصِ الأمورِ المتشابهة من أحداث التَّاريخ، وهي لفتةٌ دفعت الفكرَ التَّاريخيَّ خطواتٍ إلى الأمام؛ إذ إنَّهُ فَتَحَ هذا البابَ على

(١) ابن النديم : المصدر السَّابق، ص٩٨-٩٩؛ الذَّهبي: سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٤٥٤؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج٧، ص٣٣٤.

مصراعيه، فقلَّده من جاء بعده. علمًا أنه لم يبقَ من هذه القائمة الطويلة سوى كتابٍ واحدٍ هو (نسب قريش)[1].

٦-ابن سعد، مُحَمَّد (١٦٨-٢٣٠هـ/٧٨٤-٨٤٥م)

كاتب الواقدي، صاحب كتاب (الطبقات) ومِمَّا يحسب لابن سعد أنَّ منهجه كان يمتازُ بالتَّنْظِيمِ والتَّوثيقِ فقد كانَ يُسْنِدُ كلَّ قولٍ إلى مصدره، ويذكرُ الوثائقَ بنصوصها، على أنَّ أهمَّ ما يُذْكر لهُ على مستوى الاهتمام، هو اهتمامه بموضوع المرأة، فقد خَصَّصَ الجزءَ الثاني من طبقاته للصَّحابيَّات والتَّابعيَّات، وهي إشارة تدلُّ على وعي ابن سعد لدور المرأة في صنع التَّاريخِ الإسلاميِّ[2].

٧- ابن قُتيبةَ الدّينوريّ، عبدالله بن مسلم (٢١٣-٢٧٦هـ/٨٢٨-٨٨٩م)

والحقُّ أنَّ الجديد الذي قدَّمه لنا على مستوى المنهج هو نَقْدُ المعلوماتِ والرِّواياتِ والمصادر، لا بل إنه أدخل عنصرًا جديدًا وهو ذكر الآراء السَّائدة وقد يعطي الأحكام الشَّخصيَّة، أمَّا الذي أضافه بالنِّسبةِ لمفهوم المصدر فيتجلَّى في أنه يُعَدُّ من أوائل المؤرِّخينَ الذين رجعوا إلى العهد القديم (التوراة) بشكلٍ مباشر، وتصل قائمة مؤلفاته إلى سبعة وأربعين مؤلفًا منها : الشعر والشعراء، والأنواء، وفضل العرب على العجم، والميسر والقداح، والحكاية والمحكي، وعيون الأخبار، والمعارف[3].

٨- البَلاَذُري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)

صاحب (فتوح البلدان)، و(أنساب الأشراف). ويُعَدُّ من أوائل المؤرِّخين الذين تَوَسَّعُوا في الإسناد الجمعي، فقد استغنى عن مجموعة سلسلة الأسانيد للرواية بكلمة : (قالوا)، أمَّا الرِّواية التي يشُكُّ فيها فيضع قبلها كلمة : (قيل)، أمَّا التي تنفرد فيورد إسنادها، وبهذا المنهج يكون البلاذري من الرواد الذين خرجوا على طريقة المُحَدِّثين في نقلِ الرِّوايات، لأنَّهُ رأى في طولِ سلسلةِ الإسنادِ قطعًا للنسق التاريخي وتواصل الخبر.

(١) ابن النديم: المصدر السابق، ص١١٣-١١٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٠٠-٤٠١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٦٤-٦٦٥؛الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج٥، ص٣٢١.

(٣) شاكر مصطفى : المرجع السابق، ج١، ص٢٣٩-٢٤٢.

أمَّا المسألة الأخرى التي تُسَجَّلُ للبلاذري فهي الجانبُ الحضاري، واستخدام الوثائق والنقوش والنقود والمستندات من رسائلَ ومعاهدات، وبذلك يكون البلاذري من رُوَّاد التَّجْديدِ في المنهجِ والمحتوى والمفهومِ بالنِّسبةِ للتَّاريخِ[1].

٩- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ت٢٩٢هـ/٩٠٥م)

صاحب كتاب التاريخ، وهو موجز تاريخ منظم يتناولُ التَّاريخ العالميَّ منذ الخلق حتى سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م). والجديد عند اليعقوبي : أنه من رواد كتابة المختصرات للتاريخ العلميِّ الذي يُمَثِّلُ مختصرًا لتاريخ عالميٍّ حقيقي، فقد تحدث فيه عن توايخ الأمم الأخرى من آشوريَّة وبابليَّة، وهنديَّة، ويونانيَّة، وفرعونيَّة، وبربريَّة، وحبشيَّة، وزنجيَّة، وتركيَّة، وصينيَّة، مُرَكِّزًا في تاريخه على الجانب الحضاريِّ أكثرَ من الجانب السِّياسي، وقد عكس اليعقوبي في مادته لونًا من ألوان امتزاج الثَّقافات في ذلك العصر، كما يُعَدُّ كتابه (البلدان) من أقدمِ الكتبِ التي حملت هذا العنوان في تراثنا الإسلاميِّ[2].

١٠- الطَّبريُّ محمد بن جرير (٢٢٥-٣١٠هـ/٨٤٠-٩٢٢م)

المفسِّرُ والمؤرِّخُ والفقيه، كان له مذهبٌ خاصٌّ ممَّا جَرَّ عليه عداوةَ الحنابلةِ، والخوارج، والرَّوافض، وحتى أتباع المذهب الظاهري، لذا عندما توفي دفن ليلاً خوفًا من أعدائه.

يُعَدُّ البداية البارزة لمرحلة التَّدوين الموسوعيِّ في المشرق، غلب علي منهجه السَّرْدُ والجمعُ دون النَّقْدِ والتَّحْليلِ والتَّرْجيحِ والتَّحْقيقِ إلاَّ أنَّ الذي يُسَجَّلُ للطَّبريِّ أنه عَدَّ في كتابه (تاريخ الرسل والملوك) الرُّسُلَ والأنبياءَ ممثلين للحقِّ في التَّاريخ في مواجهة الباطل، أي: النظر إلى التاريخ الإسلامي نظرة كلية تبدأ من آدم عليه السلام حتى ٣٠٢هـ؛ وهي نظرةٌ ممتازةٌ تستحقُّ التَّقدير. ومن أشهر مؤلفاته أيضًا: تفسيره المعروف، وتهذيب الآثار[3].

---

(١) ابن النديم : المصدر السابق، ص١٢٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٥، ص٩٢؛ ابن حجر : لسان الميزان، ج١، ص٣٢٢-٣٢٣؛ شاكر مصطفى : المرجع السابق، ج١، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٢) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٥، ص١٥٤؛ عبدالعزيز الدوري: المرجع السابق، ص٥٢-٥٣؛ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج١،ص٩٥؛ شاكر مصطفى : المرجع السابق، ج١، ص٢٤٩-٢٥٢.

(٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج١٨، ص٦٨؛ أحمد محمد الحوفي : الطبري، سلسلة أعلام العرب، رقم ١٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٦٧-٢٧٥؛ ابن حجر : لسان الميزان، ج٥، ص١٠٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٢١-٢٢.

(جدول رقم ١)

إضافات رُوَّاد التَّجْديدِ في القرونِ الثَّلاثةِ الأُوَل

١	الزُّهريّ ٥١-١٢٤هـ ٦٧١-٧٤٢م	أوَّلُ من جمع الأخبار المتعلّقة بموضوع واحد وأوردها على نسقٍ مُوَحَّدٍ	أوَّلُ من أعطى إطارًا واضحًا للسِّيرةِ النَّبويَّةِ	أوَّلُ من أدخل الإسنادَ الجمعي في الرِّواياتِ التَّاريخيَّةِ	من أوائل المهتمّين بتَجَارِبِ الأمة
٢	عوانة بن الحكم (ت١٤٧هـ/ ٧٦٥م)	أوَّلُ من ألف كتابًا يحملُ عنوانَ التَّاريخ	أوَّلُ من كتبَ كتابًا يختصُّ بخليفة أو أسرة حاكمة		
٣	الهيثم بن عدي ١٣٠-٢٠٧هـ ٧٤٧-٨٢٢م	أوَّلُ من كتب التَّاريخ في إطارِ النَّسبِ	أوَّلُ من كتب في الطبقات وتوسَّع في الشُّؤونِ الحضاريَّةِ	أوَّلُ من سَجَّلَ مطالع الاتصال بين الفكر التَّاريخي الإسلامي وتواريخ الأمم الأخرى	من الرُّوَّاد الذين أرسوا أسلوب الحوليات في تدوينِ التَّاريخ
٤	الواقديّ ١٣٠-٢٠٧هـ ٧٤٧-٨٢٢م	أرسى مفهوم المغازي في السِّيرةِ النَّبويَّةِ	أدخل عنصر المعاينة شرطًا من شروط الرِّواية		
٥	المدائنيّ ١٣٥-٢٢٥هـ ٧٥٢-٨٣٩م	يُعَدُّ من رُوَّاد التَّاريخ الاجتماعيّ والحضاريّ	قدرة هائلة على استخلاص الأمور المتشابهة من التَّاريخ		
٦	محمد بن سعد ١٦٨-٢٣٠هـ ٧٨٤-٨٤٥م	قدرة عالية على التَّنظيم والتَّوثيق	من الرُّوَّاد الأوائل الذين اهتمّوا بموضوع المرأة		
٧	ابن قتيبة ٢١٣-٢٧٦هـ ٨٢٨-٨٨٩م	اهتمَّ بنقد الرِّوايات ومصادر المعلومات	ذكر الآراء السَّائدة ورأيه فيها	رجع إلى العهد القديم بشكل مباشر	
٨	البلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)	الاهتمام بالجانب الحضاريّ	توسَّع في الإسناد الجمعي	الاهتمام بالوثائق والنقوش والنقود والمستندات	
٩	اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)	من رُوَّاد كتابة المختصرات للتَّاريخ العالميّ	ركَّز على الجانب الحضاريّ	اهتمَّ بالتوثيق وذكر مصادره في مقدمة تاريخه	
١٠	الطَّبريّ ٢٢٥-٣١٠هـ ٨٤٠-٩٢٢م	النَّظرة الشُّموليَّة للتَّاريخ من خلال تاريخ الأنبياء	رائد التَّدْوين التَّاريخي الموسوعي		

مؤشرات جدول رقم ١

١- يَحْتَلُّ الزُّهريُّ والهيثم بن عدي مكانَ الصَّدارة بين مُجَدِّدِي القرون الثَّلاثة الأُولى.

٢- الرَّابطُ المشتركُ بين هؤلاء المجددين هو النَّظْرةُ الشُّموليةُ لحركة التَّاريخ.

٣-ركَّز هؤلاء جميعًا على التَّاريخ الحضاريِّ في فروعه المختلفة.

٤- يمتلكونَ كلُّهم أجمعون قدرةً عاليةً على التَّنْظيم والاستقصاء.

٥- وَسَّعَ هؤلاء الرُّوَّاد من مفهوم المصدر التَّاريخيِّ ليشملَ الرِّواياتِ الشَّفويَّةَ والمسطورة، والوثائق، والنقد، والمستندات، والمعاينة، إلى جانب تطور نقد المصادر وعرضها.

٦- يمكنُ حصرُ أبرزِ الاتِّجاهاتِ في الكتابة التَّاريخيَّةِ في هذه الحقبة في الآتي :

أ- الأسلوب الحولي.

ب- أسلوب الطَّبقات.

ج- التَّاريخ في إطار النسب.

د- التَّاريخ العالميّ من خلال تاريخ الأنبياء والأمم.

هـ- التَّخَصُّص في دولة أو خليفة.

و- ظهور كتب المختصرات للتاريخ العالمي.

ز- تدوين السِّيرة على وفق هيكليَّةٍ تبدأ من بدء الخليفة، وتنتهي بوفاة النَّبيِّ ﷺ.

وعلى مستوى الرِّواية : ظهور منهج الإسناد الجمعي، ومنهج نقد الرِّوايات، وذكر المصادر في بداية الكتاب.

٧- الرُّجوع إلى الأسفار والكتب المقدَّسة بشكل مباشر.

٨- تَمَحْوُرُ السِّيرة النَّبويَّة على يد الواقدي في المغازي، وهو منهج أَسر من جاء بعده حتى الوقت الحاضر، وهو منهج حرمنا من استثمار السِّيرة في مشروعنا الحضاري، إذ أصبحنا لا نعرف من السِّيرةِ غير قعقعةِ السِّلاحِ ورائحة الدِّماء* في حين أنَّ السِّيرة النَّبويَّةَ تَحمل في طياتها أسس المشروع الإسلاميِّ النهضويِّ في حقل التَّربية والسِّياسة، والاجتماع، والاقتصاد، والرَّحمة، والعدل، والتَّسامح، والإخاء، والحرية والتعددية، والكرامة الإنسانية، كيف لا والسيرة هي التَّجْسيدُ الحَيُّ لتعاليم الوحي الذي جاءَ لإنقاذِ البشريَّةِ مِمَّا هي فيه من ظلمٍ وجورٍ وضياع، ومن أجلِ بناءِ حضارةٍ تَتَّجِهُ في فِعْلِهَا إلى السَّماء.

---

* والحقُّ أنَّ كتاب السيرة النبوية حرصوا كلُّ الحرص على تسجيل جوانب حياة الرسول ﷺ كافَّة في السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية والتعليم والحرب والسلم، حتى الجوانب الشخصية في أدق تفاصيلها ولم يذروا منها شاردة ولا واردة إلاَّ دَوَّنوها، ولم يقتصروا على تسجيل قعقعة السلاح ورائحة الدماء كما يرى الباحث الفاضل، لأن رسول الله ﷺ هو القدرة الكاملة والأسوة الحسنة للإنسانية إلى يوم الدِّين. ولم تبحث حياة عظيم من العُظَمَاءِ كما بحثت حياة سيد الرسل وإمام الأنبياء سيدنا محمد ﷺ. فجزى الله تعالى كُتَّاب السيرة خير الجزاء. «هيئة التحرير».

جدول رقم ٢

ملامحُ حياةِ رُوَّادِ التَّجْديدِ في القرونِ الثَّلاثةِ الأُولى

الاسم	الأصل	المكان الذي عاش فيه	العمر	الوظائف التي تولاها	أشهر المؤلفات	ملاحظات أخرى
الزُّهريّ ٥١-١٢٤هـ	من قبيلة زُهرة	المدينة، دمشق	فوق ٦٠ سنة	عمل مع عدد من خلفاء بني أمية حتى وفاته	انتخاب الصديق، انتخاب علي، الشورى والفتنة، جمع القرآن، تأسيس الدِّيوان، الحرب الأهلية، انتقال السُّلطة للأمويين	مُؤَسِّسُ مدرسة تاريخيَّة في المدينةِ والشَّام.
عوانة بن الحكم ت١٤٧هـ	مولى، أُمُّهُ أمةٌ سوداء، أبوه خياط	الكوفة	فوق ٦٠ سنة	يظهر هواه مع بني أُمية	التَّاريخ، سيرة معاوية وبني أمية	بَرَزَ في الشِّعر والأنساب. كان ضريرًا.
الواقدي ١٣٠-٢٠٧هـ	مولى	المدينة، بغداد	٧٧ سنة	تَولَّى القضاء في بغداد في عصر المأمون	المغازي، مراعي قريش، ضرب الدنانير، أخبار مَكَّة، أزواج النَّبيِّ ﷺ	اهتمَّ بالتَّاريخ الحضاريِّ والمغازي.
الهيثم بن عدي ١٣٠-٢٠٧هـ	رقيق النَّسبِ	بغداد	٧٧ سنة		خطط الكوفة، خطط البصرة، تاريخ الأشراف، الشَّرطة، طبقات الفقهاء والمحدِّثين، الولاة والقضاة، النِّساء، أسماء بغايا قريش في الجاهليَّة ومن ولدن، من تزوج من الموالي من العرب فضلاً عن خمسينَ كتابًا في أنسابِ القبائلِ إلى جانب كتابِ الدَّولة.	كثرةُ الفضول ومناصبة الناس الهجوم، هجاه أبو نواس، ودعبل الخزاعي بعنف.
المدائني ١٣٥-٢٢٥هـ	بصري	البصرة، المدائن، بغداد	٩٠ سنة		له ٢٤٠ كتاب منها: أخبار النساء، مناكح الأشراف، الخيل والرهان، من تزوج مجوسية، حُليّ الخلفاء، من جمع بين أربع، من قتل عنها زوجها، من نسب إلى أمه.	معظم مؤلفاته في التَّاريخ الحضاريِّ

محمد بن سعد ١٦٨–٢٣٠ هـ	مولى	البصرة، المدينة، بغداد	٦٢سنة		الطَّبقات الكبرى	أجاب المأمون إلى القول بخلق القرآن، مُعَدَّل عند علماء الحديث.
ابن قتيبة ٢١٣–٢٧٦هـ	أبوه من مرو	الكوفة، بغداد	٥٧ سنة	تولَّى قضاء دينور، على صلة قوية بالوزير الفتح ابن خاقان، وقد كتب له أدب الكاتب.	له ٤٧ مؤلفاً منها: الشعر والشعراء، الأنواء، الميسر والقداح، فضل العرب على العجم، عيون الأخبار، المعارف، الحكاية والمحكي.	إمام في اللغة والأدب والقرآن والحديث والأخبار، مستقلّ الفكر، يُضَعِّفُهُ أهلُ الحديث.
البلاذري ت ٢٧٩هـ		بغداد	حوالي ٨٠ سنة	من رجال القصر العباسيِّ منذ عهد المتوكِّل حتى المعتزّ الذي عَيَّنَهُ مربياً لابنه عبدالله	أنساب الأشراف، فتوح البلدان، البلدان الصَّغير، البلدان الكبير.	نَسَّاب، يجيد عدة لغات، أديب راوية، كان حسوداً، كثير الهجاء للأشراف، أصيب في عقله في آخر عمره.
اليعقوبي ت ٢٩٢هـ	مولى	بغداد	فوق ٦٠ سنة	من أسرة كُتَّاب تعمل في دواوين الخلافة وقد لقب بالكاتب العباسيِّ.	التَّاريخ، البلدان، مشاكلة النَّاس لزمانهم	شيعي إمامي.
الطَّبريّ ٢٢٥–٣١٠هـ	من أمل	الري، البصرة، الكوفة، واسط الشام، بغداد	٨٥ سنة		تاريخ الرسل والملوك، تفسير القرآن، تهذيب الآثار.	صاحب مذهب خاصٍّ في الفقه، كان على خلاف مع الحنابلة والخوارج والرَّوافض وغيرهم، دفن ليلاً خوفاً عليه من خصومه.

تابع جدول رقم (٢) ملامحُ حياةِ رُوَّادِ التَّجْديدِ في القرونِ الثَّلاثة الأُولى

مؤشرات جدول رقم ٢

يلاحظ من خلال تأمُّل هذا الجدول الأمور الآتية(*) :

١- أَنَّ ٨٠٪ من المُجَدِّدِينَ في القرون الثلاثة الأولى عاش في مدينة بغداد أو مَرَّ بها، وأنَّ أشهر المدن التي تَرَكَّزَ فيها المجدِّدون هي : بغداد، والبصرة، والكوفة، ودمشق، والمدينة، وأنَّ جميع المُجَدِّدين كانوا من الشَّرق الإسلامي.

٢- أنَّ جميع هؤلاء المجددين كانوا أصحابَ ثقافةٍ موسوعيَّة، وأنَّهم تركوا مؤلفاتٍ عديدة، إذ كتبوا أكثرَ من ٣٨٧ كتاب ورسالة من مجموع ٦٠٠ مؤلف تركها مؤرخو القرون الثلاثة الأولى، أي : ما نسبته ٥٦،٤٪.

٣- أنَّ معظم إنتاج هؤلاء تَمَحْوَرَ حول التَّاريخ الحضاريِّ بفروعه المختلفة مع التَّرْكيز على التَّاريخ الاجتماعيِّ بأقسامه المتعدِّدة، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يَدلُّ على وعي هذه الكوكبة من المؤرخين لمفهوم التَّاريخ : أنَّهُ تاريخُ مجتمع وحضارة، وتاريخ أمة لا تاريخ أشخاص، وأنَّهُ تاريخٌ يُرَكِّزُ على العناصرِ الفاعلةِ والمؤثرة فيه، تاريخٌ يعي النَّتائجَ المترتِّبَةَ على استقراء جميع العوامل المؤثرة في حركة الإنسان في أثناء صناعته هذا التَّاريخ.

٤- أنَّ ٦٠٪ من هؤلاء المُجَدِّدين عملوا في وظائف الدولة، أو كانوا موالين للدَّولة القائمة، ومنهم ٢٠٪ عمل في سلك القضاء.

٥- أنَّ الذين عملوا في مناصبِ الدَّولةِ كان أثرهم أكثرَ وضوحًا في حركة التَّجْديد في هذه القرون.

٦- لا يؤثر عن أحد من هؤلاء المجددين أنه كان معارضًا للدَّولة التي عاش في ظِلِّها.

٧- كانَ ١٠٪ منهم مصابًا بعاهةٍ بصريَّة.

٨- أصيب ١٠٪ منهم بمرض عقليٍّ في آخرِ عُمُرِه.

٩- كانَ ١٠٪ منهم صاحب مذهب فقهيٍّ مستقل.

١٠-أَنَّ ١٠٪ منهم لم يتزوج.

١١- يلاحظ أَنَّ ١٠٪ منهم كانَ على درايةٍ بعلمِ الأنساب.

(*) يلاحظ أن النِّسب المئوية الواردة في هذا البحث لا تنطبق على عموم المؤرِّخين، وإنما على العينة التي تناولتها الدراسة بالذكر. «هيئة التحرير».

المبحث الثّاني

رُوَّاد التَّجْديدِ في الدِّراساتِ التَّاريخيَّةِ

ما بينَ القرن الرَّابع ونهاية القرن التَّاسع الهجريين

أ- ملامح كتابة التَّاريخ الإسلاميِّ في تلك الحقبة[1] :

لقد بلغ التاريخ بوصفه علمًا سنَّ الرُّشْدِ بمادَّته واسمه ومناهجه ورجاله في هذه الحقبة، كما شهد القرن الرابع بشكل خاصٍّ محاولةَ المزاوجةِ بينَ التَّاريخ والفلسفة في نظام فكريٍّ منسجم[2]، وتزايد الاعتماد في هذا القرن أيضًا على الوثائق. وفي هذا القرن انضمَّ إلى الفقيه والمحدِّث واللغوي في رواية التاريخ وتدوينه مجموعةٌ عديدةُ التَّنوع من العلماء : عمال الدَّواوين، والكتاب، ورجال القصر، حتى الوزراء والأطباء، وهناك قائمة طويلة من الأطباء المؤرِّخين أمثال : سعيد بن البطريق (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، وابن بطلان (ت٤٥٥هـ/١٠٦٣م) وابن جرير التكريتي (ت ٤٧٢هـ/١٠٧٩م) وابن أبي أصيبعة صاحب (طبقات الأطباء)، وغيرهم.

إنَّ هذه الطبقةَ التي غَزَتْ ميدانَ التَّأليف التَّاريخيّ أوجدت فيه بجانب اللَّونِ الدِّينيِّ اللَّونَ الآخر الدُّنيويَّ مِمَّا تَركَ أثرَهُ العميقَ في التَّاريخ سواء في مادَّته أَم في أسلوبه أم في أهدافه، أي أخذت الأحداث السِّياسيَّةُ قيمتها الخاصَّةَ بصرف النظر عن قربها أو بعدها من المفهومِ الديني. وقد تَرَتَّبَ على ذلك عدةُ أمورٍ منها :

- حَلَّ الهدفُ التَّعليميُّ السِّياسيُّ والتَّربويُّ محلَّ الهدف الدينيِّ البحت في التَّاريخ دون إلغاء كونه مجال عبرة إلهية وحكمة عظمى، وقد وَضَّح ذلك ابنُ مسكويه في مقدمة كتابه (تجارب الأمم) بقوله : «إنِّي لَمَّا تَصَفَّحْتُ أخبارَ الأمم... وجدتُ فيها ما تُستفاد منه تجربة في أمور لا يزال يتكرر مثلها... (و) صار جميع ما يحفظه الإنسانُ من أحداث التَّاريخ كأنَّهُ تجارب له، وكأنه قد عاش الزَّمانَ كُلَّه... ولهذا السبب بعينه لم نتعرَّضْ لذكر معجزات

١- شاكر مصطفى : المرجع السابق، ج١، ص٢٦٧-٢٧١.

٢- كان المطهر بن الطاهر رائدَ أوَّلِ محاولة لفلسفة التاريخ وإخضاع أحداثه من الناحية الظاهرية على الأقل للإطار الفلسفي، وذلك من خلال كتابه (البدء والتاريخ) الذي أَلَّفَهُ عام ٣٥٥هـ/٩٦٦م، لمزيد من التفاصيل انظر: شاكر مصطفى: المرجع السابق، ج١، ص ٣٢٨.

الأنبياء... لأنَّ أهل زماننا لا يستفيدون منها تَجْرِبَة فيما يستقبلونه من أمورهم اللهمَّ إلا ما كان منها تدبيرًا بشريًّا لا يقترن بالإعجاز... ».

- **اتَّضَحَ في التَّاريخ أساسٌ جديدٌ من أسس التَّحْليل والتَّفْسير هو العقل إذ أخذ بعض المؤرِّخين يعتمد التَّعليلَ والمناقشةَ المنطقيَّة في سطوره إلى جانب التَّسليم الإيجابيِّ بأنَّ الأقدار بيد اللَّه تعالى، وتحرَّرَ التَّاريخُ نتيجة ذلك من الخرافات.**

-**أصبحت فروعُ التَّاريخِ الرئيسةُ فَرْعًا للتَّراجم، وفرعاً آخرَ للأحداث، وثالثًا للأفكار والعلوم والآداب والمجتمع والنظم أو ما يعبر عنه بالتَّاريخ الحضاري.**

ونلاحظُ في هذه الحقبةِ إسهامَ الجماعاتِ غيرِ المسلمةِ في المجتمع الإسلاميِّ في تدوين التَّاريخ، ومن أبرز هذه العناصر، القبط والسُّريان، ومن أبرز مؤرِّخيهم ابن العبري صاحب كتاب (تاريخ العالم).

ومن الأمور التي يَجْدُرُ تسجيلُها ازدهارُ تاريخِ المدن، فقد ألَّف الخطيبُ البغدادي (٤٦٣هـ/١٠٧١م) (تاريخ بغداد) في ١٥ مجلدًا، وألف ابن عساكر (٥٧١هـ/١١٧٦م) (تاريخ دمشق)، والنسفي عمر بن محمد (٥٣٧هـ/١١٤٢م) (القَنْد في أخبار سَمَرْقَنْد)، والخوارزمي (٥٦٨هـ/١١٧٢م) (تاريخ خوارزم).

ولَعَلَّ الاهتمامَ بتاريخِ المدنِ في هذه الحقبة من الزَّمان كان جزءاً من الدِّفاع عن الهوية بعدما أسقط الصليبيون في المشرق المدنَ الشَّاميَّةَ خاصَّة، وأقاموا لهم مَمَالِكَ خاصَّة في القدس، وطرابلس، والكرك...، وأخذت تسقط أيضًا المدنُ الأندلسيَّةُ الواحدة بعد الأخرى بيد النَّصارى الأسبان، إلى جانب تهديد المغول للعالمِ الإسلاميِّ والتهامهم المدنَ الإسلاميَّةَ التي بلغت ذروةَ المأساة باحتلال بغداد عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨م). لكلِّ هذه الاعتبارات نجد أنَّ الاتجاه في التَّأليف يَتَّجِهُ لتخليد تلك المدن أو الأقاليم، يُزاد على ذلك العوامل النفسيَّةُ والاجتماعيَّةُ التي جُبِلَ عليها الإنسانُ من حبِّ الوطن والمكان الذي ولد وترعرع فيه.

- **التَّحَرُّر من قيد الزَّمن كلّه وترك الأخبار حرة ومرسلة لا يربطُ بينها الزَّمنُ بل الموضوع، ونجد في هذا الحقل الكتب الحضارية، الأذكياء، عقلاء المجانين...**

- **الاهتمام بتاريخ النكبات، والكوارث الطبيعيَّة، نكبة بغداد، وانفجار البراكين في الحجاز سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م، وحريق دمشق ٧٤٠هـ/١٣٣٩م الذي وصفه ابن الوردي، والغلاء الشَّديد في مصر الذي وصفه المقريزي وحَلَّلَهُ في (إغاثة الأمة بكشف الغُمَّة).**

-**التَّنْظيم الشَّهريّ واليوميّ والسَّاعي من خلال التنظيم على أساس السنين، فكان العمل بمثابة العمل الصحفي اليومي نقرأ: في يوم الثلاثاء الخامس من شهر**

كذا عند الضحى قام فلان... أو عند صلاة الصبح، أو اجتمع بعد العشاء من ليلة النصف من شعبان. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) في (إنباء الغمر)، والمقريزي في كتابه (السلوك)، وابن تغري بردي (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) في كتابه (حوادث الدهور في مدى الأيام والعصور) والسَّخاوي في (التبر المسبوك)، وابن إياس في (بدائع الزهور).....إلخ.

- التَّنْظيم الأبجدي: تكاد تكون مؤلفات التَّراجم كافَّةً منظمةً على الأساس الأبجدي، وبعضهم يقدّم من كان اسمه محمَّدًا تبرُّكًا باسم النبي ﷺ كما فعل الصَّفدي في (الوافي).
- التنظيم على أساس الخلفاء أو الأقاليم أو الدول أو الطبقات، كما فعل السُّيوطيَ في (تاريخ الخلفاء) وابن الديبع في (بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد) إذ رُتِّبَت المادَّةُ العلميَّة على أساس الدول. وجعل ابن أيبك في كتابه (كنز الدرر) لكلّ دولةٍ كتابًا إلا أنَّهُ عاد ورتَّبَ أخبارَ كلّ دولة على أساس السنين.

واتَّبعَ النويريُّ في (نهاية الأرب) التَّنظيمَ الجغرافيَّ الإقليمي، وقسم موسوعته على أساس الأقاليم المختلفة : تاريخ أفريقيا، والأندلس، وفارس، وخراسان.

- في مجال التَّراجم والرِّجال: تمَّ اعتبار القرن وحدة زمنية كاملة، وجرى التَّأليف على أساسه، كما فعل ابن حجر في (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة)، والسَّخاوي في (الضَّوء اللامع في أعيان القرن التَّاسع).
- الطبقات وخير ما يمثِّلُها ابن حجر: في(رفع الإصر عن قضاة مصر). وقد عَدَّ الذهبيُ الطَّبقةَ عشرَ سنوات، وجعلها بعضهم عشرين سنة.
- الموسوعيَّة في الفكر: ويتجلَّى ذلك في (نهاية الأرب في فنون الأدب) ٣١ مجلدًا، إذ خصص أكثر من النصف للتاريخ، وفي (تاريخ الإسلام) للذهبي ٢٨ مجلدًا، و(الوافي) للصفدي ٢٨ مجلدًا، و(مسالك الأبصار) للعمري ٢٠ مجلدًا، (صبح الأعشى) للقلقشندي ١٤ مجلدًا.
- غياب مواضيع الجدل الدِّيني منذ بداية القرن التَّاسع الهجريّ كذلك، إذ تضاءلت كتب الإمامة، والكتب الباحثة في الفرق، لأنَّ الخلافة سقطت، ولم يعد الذي يحكم في العراق أو الشام أوالمشرق قرشيًّا أو عربيًّا، بل غدا غيرَ عربي(*).

(*) كلام الباحث يوحي بأن خلافة آل عثمان لم تكن قرشيّة، حيث قال بسقوط الخلافة في القرن التاسع الهجري، وأن الخلافة بعد ذلك غدت غير عربية، وهذا كلام يناقض الحقّ والواقع، فالخلافة العثمانية إحدى درر عقد الخلافة الإسلامية الذي طوق جيد الإنسانية فشرفت به وسعدت، ومنهم فاتح القسطنطينية الذي بشر به وأثنى عليه رسول الله ﷺ وهم من نسل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه، والصحيح أن شمس الخلافة الإسلامية غربت عام ١٩٢٤م وتولى كبر إلغائها المارق مصطفى كمال أتاتورك كما هو معروف. «هيئة التحرير».

- ماتت المدرسةُ المسيحيَّةُ بعد قرن من العصر المملوكي.

- وفي صورة ردّة فعل لتحرُّر المؤرّخين من السَّنَد[1] في القرن التَّاسع الهجري، فقد حاولَ بعضُ الفقهاءِ والنَّاس أن يَتَّهِمُوا المؤرّخين بالغيبيَّة، وقد ردَّ على هذه الدعوة ابنُ حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، وقاضي القضاة بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، وقاضي القضاة عز الدين الكناني الحنبلي (ت ٨٧٦هـ/١٤٧١م)، وقاضي القضاة سعد الدين بن الديري الحنفي (ت ٨٦٧هـ/١٤٦٢م)، وقاضي القضاة شمس الدّين محمد بن علي بن محمد القاياتي الشَّافعيّ (ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م)[2].

ب- رُوَّادُ التَّجْدِيدِ فِي الدِّرَاساتِ التَّارِيخيَّةِ (٣٤٥-٩٠٢هـ/٩٥٧-١٤٩٦م)

١-المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥هـ/٩٥٧م)

صاحب (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، و(التنبيه والأشراف)، والجديد الذي أحسب أن المسعودي قد قَدَّمَهُ هو العنايةُ بالمناخ والجغرافيا والبيئة من خلال رصده للتاريخ معتمدًا على المشاهدة والرحلة، وهكذا قَفَزَ المسعودي قفزةً كبيرةً في مجال المنهج، فَحَرَّكَ السّكونيةَ الجامعةَ التي برزت في تاريخ الطبري، وقدم نمطًا موسوعيًّا متحركًا يعتمد على الفكر والرؤية الشُّموليَّة والتَّعليل، فهو يتحدَّثُ عن السياسة وعللها وأمور الحرب دون أن ينسى الأحداث والملوك، فقد جاء في مقدمة كتابه (التنبيه والأشراف) ما يوضح منهجه، قال: «ذكرنا في هذه الكتب الأخبار عن بدءالعالم والخلق... والأمم الخالية... وسير الملوك وسياساتهم ومساكن الأمم وتباينها في عباداتها واختلافها في آرائها وصفة بحار العالم... وما على الأرض من عجيب البنيان... وعلّة طول الأعمار وقصرها وآداب الرِّئاسة وضروب أقسام السياسة المدنية؛ الملوكية منها والعامية مما يلزم الملك في سياسة نفسه ورعيته ووجوه أقسام الديانيَّة... وكيف تدخل الآفات على الملك، وتزول الدول...

١- إنَّ دراسة سند الخبر ومتنه من مزايا التاريخ الإسلاميِّ، ولا تعرف أمة من الأمم مثل هذه الدقة من المطالبة بمصادر الأخبار كما عرفه المسلمون، وقد كان علم السند ابتكارًا في قوانين الرواية وفق اللّه تعالى إليه المسلمين. قال الحافظ أبو علي الجياني: «خصّ اللّه تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد، والأنساب، والإعراب». انظر: السيوطي: تدريب الراوي شرح تقريب النووي، ص ٣٥٩. ويقول ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص٨٢: «نقل الثقة عن الثقة مع الاتصال حتى يبلغ النبي ﷺ خصَّ اللّه به المسلمين دون سائر الملل».

٢- محمد السلمي: مسائل نفيسة، ص١٣-٤٤.

والآفات التي تحدث في نفس الملك والدين والآفات الخارجة المعترضة لذلك، وترصين الدين والملك وكيف يعالج كل واحد منهما بصاحبه إذا أعقل من نفسه أو من عارض يعرض له، وماهيّة ذلك العلاج... وأمارات إقبال الدول وسياسة البلدان والأديان، والجيوش على طبقاتهم... وغير ذلك من أخبار العالم وعجائبه...».

ولعلَّ ما يُذكر للمسعودي أيضًا من ناحية المنهج والتوثيق أنَّهُ في مقدمة كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ذكر أكثر من مئة مصدر من المصادر التاريخية التي اعتمد عليها، وهذه خطوة جديدة في شكل التوثيق[1].

٢-ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٢٩م)

صاحب كتاب (تجارب الأمم)، والجديد الذي يُقَدِّمُهُ في هذا الكتاب الذي يُعَدُّ من أهمِّ الكتب ذات الطَّابع الشُّمولي الموسوعيّ والذي يبدأ منذ طوفان نوح وحتى عام ٣٧٠هـ أنه أراد أن يُقَدِّمَ تاريخًا عامًّا من زاوية التَّجْرِبَةِ السِّياسيَّة العالميَّة ليكون درسًا في الأخلاق وهو يبحث عن تطور الأحداث التاريخية، ويحلل أسبابها، وقد جاءالكتاب في رأي المؤلف «على كلّ ما ورد في التاريخ مما أوجبته التَّجْرِبَة، وتفريط من فرط، وحزم من استعمل الحزم».

فهو منهج يسلط الضوء على أثر التَّجْرِبَةِ في خدمة السياسة، أي : إنَّهُ رائدٌ من روادِ الواقعيَّةِ التَّاريخيَّة[2].

٣- البيروني، أبو الرّيحان محمد بن أحمد (٣٦٢-٤٢٠هـ/٩٧٢-١٠٤٨م)

يُعَدُّ البيروني من أشهر رُوَّاد التَّجْديدِ في المنهج التَّاريخي، وربما فاقت إضافاته المنهجيَّةُ والنَّقْديَّةُ ما قدَّمه ابن خلدون في بعض الجوانب، لا بل إنه يُعتقد أنه كان من الموارد والمصادر التي اعتمد عليها ابن خلدون وغيره.

لقد كان البيروني صاحب فكر موسوعي، إذ يذكر له أكثر من ثمانين ومئة كتابٍ، فهو عالم غزير الإنتاج، صاحب مواهب متعددة، فقد كان يجيد عدة لغات منها اللغة

١- عبدالحليم عويس: تفسير التاريخ في تراثنا الإسلامي، الإسلام اليوم، ع٥، ذو القعدة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧، ص ١٧-١٩.

٢- المرجع السابق نفسه، ج١، ص٤٠٨-٤٠٩.

السنسكريتية، فضلاً عن شهادة العلماء له بالعبقرية في عدد من العلوم الفلكيَّةِ والرياضيَّةِ والجغرافيَّةِ والتَّاريخيَّةِ وغيرها. وفوق هذا وذاك فهو صاحب تجربةٍ سياسيَّةٍ غنيَّة، فقد عاش في كنف عدة إمارات منها : إمارة آل عراق، ثم إمارة آل المأمون بخوارزم، ثم انتقل إلى إمارة جرجان بدعوة من أميرها العالم الأديب شمس المعالي قابوس عام ٣٨٩هـ، وأَلَّفَ له كتاب (الآثار الباقية) في سنة ٣٩٠هـ، ثم رحل إلى الهند والسند، ثم عاش في كنف الدولة الغزنوية في عهد محمود الغزنوي.

ولم تصرفه رحلاته والإقامة في أكناف الملوك والسلاطين عن التَّأليف والإبداع والاختراع فقد صنع آلة لمعرفة اتجاه القبلة، وأخرى لمعرفة ضغط الماء والهواء.

إنَّ هذا العالم العبقريَّ قَدَّمَ لنا في حقل الدِّراساتِ التَّاريخيَّةِ عِدَّةَ إضافات تُسَجَّلُ بأحرف من نور، ولعلَّ الإضافة الأولى هي أنَّ التَّاريخَ يدرس من خلال الآثار التي تبقى في الأمكنة والرسوم والنواميس، وفي وجهة نظره أنه لا سبيل إلى التاريخ من جهة الاستدلال بالمعقولات، لأنَّ العلمَ اليقينيَّ لا يحصل إلا في المحسوسات يؤلف بينها العقل على نمطٍ منطقيٍّ، وإنَّ في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) إشارةً واضحةً إلى منهجه العقلي في أبحاثه التاريخية، فهو يقلب النص من جميع الوجوه «ويجب أن أعبر هذا الكلام بجميع وجوهه فإني لأبي قَبول الحقِّ من أي معدن وجدته».

لقد آمن البيروني في منهجه بالدِّراسات المقارنة في التَّاريخ والأديان والأفكار، فقد درس البيروني كتاب ماني (سفر الأسرار)، ولم يجد حرجاً في تحليله ومقارنة ما فيه مع غيره من الكتب الدينية.

إنَّ المنهجَ الذي سار عليه البيروني في أبحاثه التَّاريخيَّة هو عينه المنهجُ العلميُّ الذي نسيرُ عليه اليوم، أي : ذلك المنهج الذي يُحَكِّمُ العقلَ بعد الاستقصاء والاستيعاب والتَّحليل والنَّقد والمقارنة.

وإذا قارنا منهجه بمنهج الطَّبري، والمسعودي وابنِ مسكويه وغيرهم من المؤرخين المعروفين أدركنا أنهم لم يوفقوا إلى المنهج المتكامل، لأن ثقافتهم كانت مبنية على العلوم النقلية فقط، بينما وُفِّقَ البيروني إلى ذلك لمعرفته الشَّاملةِ ويقظته العقليَّة وحسّه النَّقْدي الدَّقيق في معالجة كثير من قضايا التَّاريخ واستكناه عللها والربط بينها. وقد أوضح البيروني ملامح منهجه في مقدمة كتابه (الآثار الباقية)، إذ رَكَّزَ على ضرورة الرُّجوع إلى

المصادر والاستدلال بالمعقولات والقياس بما يشاهد من المحسوسات ومقارنة الأقوال بعضها ببعض، ودعا إلى تنزيه النفس عن العوارض المردية لأكثر الخلق والأسباب المعمية لصاحبها عن الحق فقال : «...ثم قياس أقاويلهم وآرائهم في إثبات ذلك بعضها ببعض بعد تنزيه النفس عن العوارض المردية لأكثر الخلق والأسباب المعمية لصاحبها عن الحق، وهي كالعادة المألوفة والتعصب والتضافر واتباع الهوى والتغالب بالرئاسة وأشباه ذلك».

لقد كان البيروني يبحث التَّاريخَ والمجتمع بطريقةٍ رياضيَّةٍ بحتة لا تقبلُ الرَّفض أو التَّعديل إلا بقدر ما تسمح به الحقائقُ العلميَّة، وقد طَبَّقَ البيروني منهجه هذا بدقة في جميع كتبه التاريخيَّةِ والعلمية خاصة في كتابه (الآثار الباقية) وكتاب (الهند)، حيث رجع إلى المصادر الأولية، ونَقَدَ، وحلَّلَ، وقارَن، وصَرَّحَ بأسماءِ عشراتِ المصادرِ في كتابه (الآثار الباقية) والمتعلقة بالعديد من الأديان والجماعات، كالمجوس، واليهود، والنصارى، والسُّريان، والأقباط، واليونان، والعرب.

وقد صَحَّح من خلال تطبيقه لمنهجه كثيرًا من المفاهيم عن العديد من القضايا التاريخية التي كانت تُعَدُّ في نظر النَّاس حقائقَ لا يتسرَّبُ إليها الشَّكُّ، ومن تلك المسائل التي قام بتحقيقها وإصدارِ حكمٍ عليها ما يأتي :

أ- أثبت عدم صحة نسبة بني بويه إلى الساسانيين.

ب- أثبت عدم صحة نسبة الفاطميين لآل رسول اللَّه ﷺ.

ج- لم يمنعه الخوف من بطش قابوس بن وشكمير الذي كان يعيش في قصره من التصريح بأنَّ نسب قابوس لا يصحُّ إلى آل بيت الرسول ﷺ علمًا بأنَّ البيروني ألَّف كتابه (الآثار الباقية) الذي ذكرت فيه هذه المعلومات للأمير قابوس.

د- أمَّا بالنسبة لذي القرنين المذكور في القرآن الكريم والذي هو عند معظم المفسرين أمثال الطبري والقرطبي، والمؤرخين والكتاب أمثال المسعودي وأبي حنيفة الدينوري، وابن خرداذبه، وقدامة بن جعفر وابن قتيبة وغيرهم: الإسكندر المقدوني، وحَدَّدَه علماءُ اليمنِ أمثال محمد بن حبيب في كتابه (المحبر)، والهمداني في (الإكليل) أحد ملوك اليمن وحدوده بمصعب المهمال الحميري، فإنَّ البيروني بعد استقصاء هذه الأقوال وغيرها مال إلى أنَّهُ أبو كَرِبَ شَمَّرُ يُرْعِشُ بن إفريقيس الحميريّ، واحتجَّ بظاهر اللقب الذي يكثر في ألقاب ملوك اليمن المعروفين بالأذواء: ذو نواس، وذو يزن وغيرهم، وهو منهج جديد في ترجيح الرِّوايات عن طريق اللغة ودلالاتها التاريخية.

هـ- ورفض كذلك كلام ابن خرداذبه بعدَ مناقشةٍ علميَّةٍ من خلال النَّقْد الداخليِّ في كونِ سدِّ يأجوج ومأجوج في منطقة بحر قزوين الغربية.

و- وبحث في موضوع التاريخ الهجري، فَقَرَّرَ بعد المقارنة والنقاش للأقوال المختلفة أن هجرة الرسول ﷺ كانت في الثامن من ربيع الأوَّل، ولا يجوز كونها في الثَّاني عشر من هذا الشهر، لعدم وقوع يوم الاثنين من الناحية الحسابية إلا في ذلك التاريخ.

ز- رفض وقوع عاشوراء عيد اليهود في العاشر من مُحَرَّم والأخبار المروية في صوم النبي ﷺ في هذا اليوم، لأنه يوم نجاة موسى وبني إسرائيل من الغرق، وذلك بطريقة رياضية عجيبة مقنعة، وعَدَّ الرِّواياتِ الواردةَ في هذا الموضوعِ من عمل محدثي العوام أو مسالمة أهل الكتاب(*). وهكذا أخضع البيروني تواريخ الأحداث لعمليات رياضية للتَّثَبُّتِ من صحتها، وما أحوجنا إلى مثل هذا الأسلوب العلميِّ الرياضيِّ في مناهج البحث في حقل الدِّراسات التَّاريخيَّة شريطة ألا يتعارض مع الأحاديث النبوية الصحيحة وما أجمع عليه علماء الأمة. وإلى جانب هذا المنهج الرياضيِّ أكَّد البيروني أهمية اللغات في توسيع أفق العالم وأثرها في إعطاء مجال أرحب للمقارنة واستغلال القوانين والعبر من الأحداث فقد كان البيروني يجيدُ عدة لغات - كما تقدم - من أهمِّها اليونانيَّةُ والعبريَّةُ والفارسيَّةُ والتركيَّةُ والسنسكريتيَّةُ إلى جانب العربيَّة. ولعلَّه الوحيد الذي تعلَّم تلك اللغات في تلك المدَّة، واستعملها في ترجمة الكتب التي كتبت بتلك اللغات إلى اللغة العربية. وأكَّدَ البيروني أيضًا على ضرورة الدِّقة العلميَّة، وعَدَّها من ركائز المنهج المنضبط. ومن مظاهر هذه الدقة فضلاً عن حساباته الفلكية والرياضية، ذكرُهُ عَدَدَ صفحات كتبه. فعلى سبيل المثال يذكر أنَّ كتابه (الوساطة بين الخوارزمي وأبي الحسن الأهوازي الفلكي) في ٦٠٠ ورقة (١٢٠٠ صفحة) وكتاب (جمع الجوامع في شرح السند هند أو الرياضيات الهندية) في ٥٠٠ ورقة (١٠٠٠ صفحة)، و(رسالة تقاسيم الأقاليم) في عشرين ورقة (٤٠ صفحة)، و (إيضاح الأدلة على كيفية سمت القبلة) ٢٥ ورقة (٥٠ صفحة).... إلخ.

(*) ما رآه البيروني ليس بشيء، وليست طريقته الرياضية التي طلع فجّها عجيبة ولا مقنعة، لأن خبر صيام يوم عاشوراء مروي في الصحيحين، ولا سبيل إلى تغليب الحسابات الرياضية التي قد يعتورها الخطل والعثار والزلل وهي من ثمار العقل على ما صَحَّ وثبت في النقل.

إنَّ هذه الطريقة كما أسلفنا تتعارض مع أحاديث صحيحة وردت في صحيحي البخاري ومسلم، وهما كتابان تلقتهما الأمة كلها بالقبول، وعدّتهما أصحُّ الكتب بعد كتاب الله تعالى، ولسنا نسلم بقول قائل يتعارض قوله مع حديث صحيح ثابت مهما بلغ من العلم والفضل. فلا ندع حديثاً ثابتاً لقول قائل كائناً من كان ولا سيما أنه ليس من المعاصرين للحدث، بل جاء بعد أربعة قرون خلت من هجرة المصطفى ﷺ لينفي حدثًا وقع في العام الأول من الهجرة بناء على حسابات فلكية قام بها بشر يخطئ ويصيب. ولا نعتقد أن الباحث الفاضل يقصد تصويب صنيع البيروني وإن تعارض مع الأحاديث الصحيحة، ولاسيما أنه قد قال «وما أحوجنا إلى مثل هذا الأسلوب العلمي الرياضي في مناهج البحث في حقل الدراسات التاريخية شريطة ألا يتعارض مع الأحاديث النبوية الصحيحة وما أجمع عليه علماء الأمة». «هيئة التحرير».

ولعلَّ وصيته للفلكيين توضحُ لنا مدى النّضج الذي وصل إليه البيروني في حقل البحث العلمي. لا بل إنَّها تُمَثِّلُ قِمَّةَ المثالية في منهج البحث، فقد قال : «ويجب أن يتيقظ الراصد، ويديم فلي أعماله، واتهام نفسه، ويقلل العجب بها، ويزيد في الاجتهاد ولا يسأم».

وهكذا، حق للمطلع على تراث البيروني أن يضعه في قمة هرم المجددين في المنهجِ التَّاريخيِّ والعلوم الإنسانية فقد قدَّم لنا منهجاً قبل ألف عام لا يتعداه ما وصلنا إليه اليوم[1].

٤- ابن حزم، علي بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)

امتاز هذا العالم الفحل بالثقافة الموسوعية، و الآراء المتميزة التي يصدعُ بها دون النظر والالتفات لمن يعارضه. وقد قدّم لنا وجهة نظر لها مسوغاتها فيما يتعلَّقُ بالإبداع الحضاري، و ركَّزَ في نظريته تلك - إن جاز التعبير - على ثلاثة عناصر هي :

أ-**العقيدة** : فالعقيدةُ في وجهةِ نظره تشبهُ الرُّوحَ التي تُوَجِّهُ الإنسانَ إلى البناء، ويعتمد ابن حزم في تأييد رأيه على بديهية عقلية حين يصور الحياة بدون عقيدة وشريعة، بأنها حياة تَعُمُّهَا الفوضى الأخلاقية من زنى وقتل وفوضى.

ورؤيةُ ابنِ حزم لأثر العقيدةِ رؤيةٌ قرآنيَّةٌ ركَّزَ عليها القرآن في آيات كثيرة، وهي أيضًا رؤية جديدة لم يَنْتَهِ إليها الكثير من المفكرين إلا بعد أبحاث مضنية، إذ يجمع الباحثون على أنَّ العقيدةَ هي أصل البناء الحضاري، وأنَّ الصِّراع بين الأمم هو صراع عقدي، وأنَّ الأمة التي تمتلك عقيدة هي بالتأكيد أقوى من تلك التي تفتقدها.

ب- **التَّعليم والتَّربية**: وقد ركَّزَ على هذا العامل وأثرِهِ في نهضةِ الأمم، وكانَ مُوَفَّقاً في الجمع بين العلوم النظرية والعلوم التطبيقية دون تفرقة.

ج- **الأخلاق وأثرها في بناء الأمة**: ويذهب ابن حزم إلى أنَّ جوهر الأخلاق هو الصِّدقُ بمفهومه الواسع، فالبناء الاجتماعي الذي مادة بنائه الصدق يستطيع أن يقف في وجه أعنف ضربات الزَّمان، ويَتَرَكَّبُ الصدق عند ابن حزم من فضيلتين :العدل والنجدة.

وَيُبَيِّنُ ابنُ حزم أنَّ من عوامل سقوط الدُّول والحضارات الكذب، فيقول : «وما هلكت الدول، ولا هلكت الممالك، ولا سفكت الدماء ظلمًا، ولا هُتكت الأستار بغير النمائم

١- سيد رضوان : البيروني ومنهجه في البحث التُّاريخي، مجلة الدِّراسات الإسلاميَّة، الجامعة الإسلامية، إسلام آباد، باكستان، مج٢١، ع٢، رجب ١٤٠٦هـ / إبريل ١٩٨٦م، ص١-١٧، شاكر مصطفى : المرجع السابق/ج٢، ص٩٨-٩٩.

والكذب»، ثم يورد نماذجَ متعدِّدةً ونصوصًا تتضافر كلُّها على تأكيد دور الكذب في إفساد الحياة[1].

٥- ابن الأثير، عزّ الدِّين (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)

من أبرز الإضافات التي تُحسب لابن الأثير في مجال التَّصنيفِ والمنهجِ أنَّهُ كان ينطلقُ من تَصَوُّرٍ واضحٍ لأحداثِ التَّاريخ. فقد كان يؤمن بوحدة التاريخ ولا يؤمن بالتحقيب، فهو يَعُدُّ الأحداث متصلة، ويرى أنَّ التَّاريخَ مثل الكائن الحيِّ يُمثِّلُ الطفولة والشباب والشيخوخة مراحل لعين الشخص، فقد جاء في صدر كتابه (الكامل في التاريخ) قوله : «إنَّ الإنسانَ لا يخفى يُحِبُّ البقاء، ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء، فيا ليت شعري، أيّ فرقٍ بينَ ما رآه أمس وما سمعه وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدِّمين، فإذا طالعه فكأنه عاصرهم، وإذا عاصرهم فكأنه حاضرهم».

لقد قام ابن الأثير بتطوير المنهج الحولي الذي سار عليه مؤرِّخو الإسلام، وذلك بذكر الوفيات في نهاية كل سنة، و من ثَمَّ دمج ما بين الحوادث والتراجم. كما يُذكر لابن الأثير مراعاته للتوازن ما بين أخبار المشرق وأخبار الغرب الإسلامي في حين كانت المؤلفات السَّابقة تُسلِّطُ الضّوء على المشرق أكثر من المغرب، أو العكس. فمراعاة التوازن من القضايا المنهجيَّةِ التي تُسَجَّلُ له.

أمَّا أهمُّ شيء يُذكر لابن الأثير في كتابه (الكامل) فهو اختيار المصادر، فقد اختار حوالي ٣٢ مصدرًا بعد نقد بعضها، ومن جملتها الطبري، وهو يحاول أن يختارَ أصحَّ الرِّواياتِ آخذًا بعين الاعتبار عند تحليله للرِّوايات التَّاريخيَّة الظَّواهر الجويَّة والأرضيَّة من غلاء ورخص وقحط وأوبئة وزلازل، إلى جانب حرصه على نقد الأخبارِ السِّياسيَّةِ والحزبيَّةِ والأخلاقيَّةِ والعملية. أي : إنه لا يقفُ معَ الأحداث مثل الطبري وغيره.بل كانت شخصيته تظهر بشكل واضح من خلال معالجاته وترجيحاته [2]، ومن أشهر مؤلفاته فضلاً عن الكامل، (الباهر في الدولة الأتابكية)، و (أسد الغابة في معرفة الصَّحابة)، و(اللباب في تهذيب الأنساب)، و(أدب السياسة).

١- عبدالحليم عويس : تفسير التاريخ، علم إسلام، ص١٢٢-١٢٤.

٢- المرجع السابق نفسه، ج٢، ص١١١-١١٦.

٦- لسان الدِّين بن الخطيب (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

ذو ثقافةٍ موسوعيَّة، طبيب، وشاعر، وفقيه، وعالم لغة، متمكِّن في الأدب والزَّجل، والتَّصوف، وفوق كلِّ ذلك فهو رجل دولة.

من أشهر مؤلفاته في التَّاريخ العام، (أعمال الأعلام)، وفي التَّاريخ الإقليميِّ (الإحاطة في أخبار غرناطة)، وفي الأدب (الكتيبة الكامنة في من لقيته في الأندلس من شعراء المئة الثامنة)، وكتب مذكرات منها (معيار الاختيار)، (نفاضة الجراب)، وفي السياسة (الإشارة إلى أدب السياسة في الوزارة)، ورسالة أخرى في أحوال خدمة الدَّولة.

لقد كان ابنُ الخطيبِ من المُجَدِّدين في المنهاج التَّاريخي، ولعلَّ عبقرية ابن خلدون المعاصر له غَطَّتْ عليه، ويمكن تتبع إضافات ابن الخطيب من خلال الآتي :

أ- **رَكَّزَ على دراسة التاريخ في إطار المجتمع لا في إطار الفرد**، وهو من أوائل من أدخل في تحليله للحدث التَّاريخيِّ ما يُسمَّى علم النفس الاجتماعي، إذ كان يقوم بتحليل قطاعات الرَّأي العامِّ المختلفة عند انتقال الحكم من أمير إلى أمير.

والاهتمام بالرأي العامِّ من الأمور الحديثة لا بل المعاصرة في التاريخ البشري، إذ قام ابنُ الخطيب بإبراز اختلاف الآراء والمواقف حسب الفئات الاجتماعية.

ب- **لقد كان ابن الخطيب على وعي بمفهوم معنى إعادة بناء الحدث**، أي: النَّظَر إلى الحدث من خلال الكلّ لا الجزء، فهو مثلاً في (الإحاطة) لا يكتفي بعرض تراجم الرجال الذين لهم صلة ما بتاريخِ المدينةِ الأندلسيَّة، بل إنَّهُ يُعَرِّفُنا الإطار الاجتماعيَّ الجغرافيَّ الذي جرت فيه الأحداثُ، التي سيطرقها في التَّراجم، فَيُحَدِّثُنَا عن النَّشَاط الزِّراعيِّ حول غرناطة، وعن القرى القائمة بأقاليمها، ثمَّ يُحَدِّثنا عن أهل غرناطة ومظاهرهم وأنسابهم وأزيائهم وطرق معيشتهم وصنوف نقدهم وصفات نسائهم، فهو يدرك أهميَّة الجانبِ العمرانيِّ بوصفه عاملاً من عوامل فهم التَّاريخ علماً بأنه يُصَرِّحُ لنا بأهمية الاقتصاد في فهم الأحداث، فهو يحرص على إفادتنا بواردات الدولة في العصر نفسه.

لقد كانَ ابنُ الخطيبِ يدركُ كثافة الواقع التَّاريخيّ وما يفرضه من عمق وارتباطات بعلومٍ إنسانية أخرى مجاورة، كالجغرافيا والاقتصاد والاجتماع.

ج. **تُؤَكِّدُ كتاباتُ ابن الخطيبِ التي وصلت إلينا أنَّهُ كانَ مُتَفَتِّحَ الذِّهْن**، وقد اهتمَّ بجانب التَّعليل، وعرف كيف يبرزُ السَّببيَّةَ التَّاريخيَّةَ في تركيباتها وتعقيداتها واضعًا

في حسابه كلَّ العناصر من ماديَّةٍ وروحيَّة وفرديَّةٍ واجتماعيَّةٍ ونفسيَّة.

د. **الوسائل المعينة على إعادة بناء الواقع التَّاريخيِّ : كان ابنُ الخطيب مُزَوَّدًا** بفكرة واسعة عن مفهوم المصدر التَّاريخي، فهو يذكر مصادره في مقدمة مؤلفاته، وهذا يبين مقدار وعيه لأهمية المصادر وتنوعها، إذ يذكر لنا في مقدمة كتابه (الإحاطة) جملة لا بأسَ بها من أهمِّ الكتب التي ألَّفها مؤلفون مشارقةٌ ومغاربة، كما فَطِنَ ابنُ الخطيب لأهمية الوثائق، وحَرَصَ على تسجيلها على أنَّها حُجَّةٌ أساسيَّةٌ يرتكز إليها المؤرِّخ، وقد رصع بها كتبه، فهو يوردُ الرَّسائلَ المتبادلة والوصايا الرسمية ونصّ البيعة والشَّهادات، ومنها على سبيل المثال شهادة ابن حزم على خراب قرطبة، والرَّسائل المتبادلة ما بين الخلافة العباسيَّة وأمراء الأندلس، ولم يكتف ابن الخطيب بذلك بل نجده يعتمد على المشاهدة الواعية بطبيعة العمران، والبشر، والتَّحصينات، حتى الأمراض المفتشية.

هـ. **كانَ ابنُ الخطيب من الرُّوَّادِ في الاهتمام بالممالكِ النَّصرانيَّةِ في الأندلس.** فقد عقد فصلاً خاصًّا بتاريخ تلك الممالك، وهو اهتمام غير معهود عند المؤرخين المسلمين فيما سبق، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على وعي ابن الخطيبِ لمفهومِ التَّاريخ والمنهجِ الصَّحيحِ لفهمه، فكان في طليعة المؤرِّخين الرُّوَّاد [1].

٧- ابن خلدون، عبدالرَّحمن (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

يُعَدُّ ابن خلدون غير مُدَافَعٍ ولا مُنَازَعٍ من عباقرة الأمة الذين جَدَّدوا المناهج، وقدموا تَصَوُّراتٍ مبدعةً عن العمران البشري، ويمكن رصدُ أهمِّ إضافاتِ ابن خلدون في حقل الدِّراسات التاريخيَّة، في مجال المنهج خاصة عبر النقاط الآتية :

- **من مآثره على علم التاريخ أنه حمل الواقعة من إطارها الجزئيِّ إلى إطارها الكُلِّيِّ في إطار الزَّمان والمكان،** وأنَّ التَّاريخ يجب أن يُدْرَسَ في إطار المجتمع، وهذا ما أكده بقوله : «إنَّ التَّاريخ هو خبر عن الاجتماع الإنسانيِّ»[2]، أي : إنَّ التاريخ هو وسيلة

١- محمد زنيبر : ابن الخطيب والتجديد في المنهاج التاريخي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ع٢، ١٩٧٧م، ص٧٩-١٢٦.

٢- ابن خلدون : المقدمة، ط،ص٤٦.

للتَّعَرُّفِ على المجتمعات الإنسانيَّةِ من خلال دِقَّةِ الخبر وصدق الرِّواية. وقد جاء ذلك خلال الفصل الذي عقده في المقدمة لطبيعة العمران في الخليقة.

- **حَدَّدَ لنا الأسبابَ التي تدفع إلى الكذب في الأخبار** ومنها : التَّعَصُّبُ للآراء والمذاهب، والثقةُ بالناقلين والذُّهول عن المقاصد، فكثير من الناقلين لا يعرفُ القصدَ ممّا عاينَ أو سمع، وينقلُ الخبرَ على ما في ظنه فيقع الكذب، وتَقَرُّبُ الناسِ لأصحابِ المراتبِ، والجهلُ بطبائع الأحوال في العمرانِ، يقول ابن خلدون : «فالنفوسُ مولعةٌ بحبِّ الثناء، والنَّاسُ مُتَطَلِّعونَ إلى الدُّنيا وأسبابها من جاه أو ثروة، وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل»[1].

- **يرى أنَّ تنقية التَّاريخ من الزَّيف وتصويب أخطائه تُمَثِّلُ المنطق الأول لتصوُّر العمران البشري**، وهو الهدف من المنهج الذي وصفه ابن خلدون. وقد قَدَّمَ ابن خلدون نماذجَ على تطبيقِ منهجه من خلال الفصل الذي خَصَّصَهُ لأغلاط المؤرخين، ومن تلك النماذج خَبَرُ جيوش بني إسرائيل حسب إحصاء المسعودي لأعدادها وأخبارُ التَّبابعة ملوك اليمن، وأنهم كانوا يغزون أفريقيا، يقول ابن خلدون :«وهذه الأخبار كُلُّها بعيدةٌ عن الصِّحةِ عريقةٌ في الوهم والغلط»[2]، ولا يقف الأمرُ عند نقدِ الرِّواياتِ التَّاريخيَّةِ وتجريحها ثمّ رفضها، وإنما يدلف إلى بعض ما ذكره المفسِّرون في إرم ذات العماد في سورة (الفجر)[3] وفي مقدمتهم الطَّبريُّ والثَّعالبيُّ ثمَّ المسعودي، ويُسَمِّي أخبارهم بالخرافات، ويتهمهم بالهذيان. ويمضي ابن خلدون على رسله في هذا الفصل، فيورد نماذجَ من أخبار المؤرِّخين وآراء المفسِّرين، ويخضعها لمنهجِهِ النَّقْديِّ الدَّقيقِ وينتهي إلى تكذيبها، ويقول عن هذه الأخبار والأحداث : إنها من الاستحالة ومن البعد بمكان، وتمحيصها إنما هو بمعرفة طبائع العمران، وهو أحسنُ الوجوه وأوثقها في تمحيصِ الأخبارِ وتمييز صدقها من كذبها، ومن ذلك على سبيل المثال نقده لخبر رواه المسعودي عن الإسكندر الأكبر حين فتح مصر، وأراد بناء الإسكندرية وصدته دوابُّ البحر. لقد حَلَّلَ ابن خلدون تلك الرِّوايةَ بأساليبَ شَتَّى، وأعمل العقل في تقويمها، وانتهى إلى أنَّها حديثُ خرافة مستحيلة الحدوث، وهكذا انتقد المدينة ذات العشرة آلاف باب وغيرها من الرِّوايات.

١- المصدر السابق نفسه، ط، ص٤٧.

٢- المقدمة جـ١، ص١٧.

٣- في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ سورة الفجر ٦-٨.

ويتابع ابن خلدون نقده للرِّوايات التَّاريخيَّة ولمن ينقلها دون تمحيص وإعمال الفكر، فيقول : «وإنَّ فحول المؤرِّخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيَّام وجمعوها... وخلطها المتطفلون بدسائسَ من الباطل وَهِمُوا فيها وابتدعوها، وزخارفَ من الروايات المُضَعَّفَة لَفَّقُوهَا ووضعوها. واقتفى تلك الآثار الكثير من بعدهم واتَّبعوها، وأدَّوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسبابَ الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتَّحقيقُ قليل، وَطرْفُ التَّنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل... ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل، والحق لا يقاوم سلطانه... والنَّاقل إنَّما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصَّحيح....، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقل....».

- **يُقَدِّمُ ابنُ خلدون فهمًا حقيقيًّا للتَّاريخ** فيقول في تاريخه : إنه «من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال... وتسمو إلى معرفته السُّوقةُ والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيَّام والدُّول والسَّوابق من القرون الأُوَل، تنمو فيه الأقوال، وتضرب فيه الأمثال... وفي باطنه نظرٌ وتحقيق، وتعليلٌ للكائنات ومبادئها دقيقٌ، وعلمٌ بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو كذلك أصيل في الحكمة عريق»[1].

شُرُوطُ المُؤَرِّخِ : لقد اشترط ابن خلدون لمن يتصدى للتاريخ وفقًا للفهم الذي قدَّمه في تعريف التاريخ أن تتوافر فيه الشروط الآتية :

أ- إجادة علم السِّياسة وطبائع الأمم والسِّير.

ب- معرفة الملل والنِّحل والمذاهب.

ج- معايشة الحاضر ومتابعة الماضي.

د- إجادة علم المنطق.

وقد جَلَّى ابن خلدون ذلك، وبَيَّنه فقال : «يحتاجُ صاحبُ هذا الفنِّ إلى العلم بقواعدِ السِّياسةِ وطبائعِ الموجوداتِ، واختلافِ الأممِ والبقاعِ والأعصارِ في السِّيرِ والأخلاقِ والعوائدِ والنِّحَلِ والمذاهبِ وسائرِ الأحوالِ، والإحاطةِ بالحاضرِ من ذلك ومماثلةِ ما بينه

١- المقدمة جـ ١، ص ٦.

وبين الغائبِ من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والملل، ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ودواعي كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم حتى يكونَ مستوعباً لأسباب كلّ خبر، وحينئذ يعرض الخبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول، فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحاً، وإلا استغنى عنه»[1].

أَجَلْ لقد كانَ ابنُ خلدون عالمَ المنهجِ الاستقرائيِّ بعبقريَّتِه النَّادرة وبراعته الفائقة، إذ فَسَّرَ الظَّواهرَ العرضية التي شاهدها تفسيراً يرتكزُ على التَّحليل والتَّرْكيبِ مستخدماً قياسَ الغائبِ على الشَّاهد ومستقرئًا الحوادثَ العارضةَ في المشاهدة للتَّوصُّلِ إلى أحكامٍ عامَّةٍ ممَّا جعل عمله الباهر في نطاق التَّاريخ يساوي عملَ الفقهاءِ وعلماء أصول الفقه.

لكلِّ هذا استحقَّ ثناءَ العلماءِ من مختلف الأمصار والأَصقاع والملل والنِّحل. إذ عَدَّ توينبي المقدّمة أعظمَ عمل من نوعه ابتكره أيّ عقل في أيّ عصر وفي أيّ بلد. وليس مستغرباً أن يحتلَّ تلاميذُهُ أيضًا مكانةً مرموقةً في دنيا العلم والبحث، فكان منهم على سبيلِ المثالِ الفقيهُ والمحدِّثُ والأصوليُّ والمؤرِّخ ابنُ حجرٍ العَسْقلانيُّ والعالمُ الموسوعيُّ المقريزيُّ صاحب (السلوك) و (الخطط) وغيرُهما من الأئمة الأعلام الأَثبات [2].

٨- المقريزيّ، أبو العباس تقيُّ الدِّين أحمد بن علي بن عبدالقادر البعلّي العبيديّ الحسينيّ (٧٦٦-٨٤٥هـ/١٣٦٥-١٤٤١م)[3]

أصله من بعلبك، ويَدَّعي النَّسبَ الفاطمي، ومن هنا كان العبيديّ في نسبه، ولد في أسرة علم لها صلة بمناصب الدَّولة.

يُعَدُّ المقريزيُّ من أشهرِ المؤرِّخين المجدِّدينَ الذين ظهروا في العصر المملوكيِّ (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، فقد تتلمذ على ست مئة شيخ كان آخرهم المؤرِّخ الشَّهير

١- ابن خلدون : المقدمة، ج١، ص٣٣

٢- عبداللطيف شرارة : الفكر التّاريخيّ في الإسلام، ص٣٦؛ عبدالحليم عويس : تفسير التاريخ - علم إسلامي، ص ١٣٣-١٥٣.

٣- لمزيد من التفاصيل عن حياة المقريزي ومؤلفاته انظر : شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣، ص١٤٠-١٥١؛ محمد مصطفى زيادة: المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي، القاهرة، ١٩٥٤؛ محمد عبدالله عنان: مؤرخو مصر الإسلاميّة، القاهرة، ١٩٦٩.

عبدالرَّحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، مِمَّا أكسبه ثقافةً موسوعيَّةً تمتازُ بالأصالة والعمق والشُّمول، فإلى جانب تَبَحُّرِهِ في علومِ الشَّريعةِ واللغة والأدب كانَ يجيدُ علم التنجيم والرَّمل، والاصطرلاب والطَّبيعيَّات، والآثار والاجتماع، والإحياء.

لقد قادَتْ هذه الثَّقافةُ الموسوعيَّةُ والمواهبُ المتعدِّدةُ المقريزيَّ إلى تَسَنُّمِ العديد من المناصب المرموقة، فقد كان موقعًا في ديوان الإنشاء سنة (٧٨٨هـ/١٣٨٦م)، ومحتسبًا لمدينة القاهرة عدة مرات منذ سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م)، وناظرًا لأوقاف المدرسة القلانسية وأوقاف البيمارستان النوري في دمشق، كما تولَّى الوعظَ والتَّدريس في عدد من المساجد والمدارس في مصر ودمشق، منها : جامع عمرو بن العاص، وجامع الحاكم، ومدرسة السُّلطان حسن، فضلاً عن تدريسه مُدَّة عشر سنوات في مدارس دمشق. وبعبارة أخرى لقد كانت للمقريزيِّ حظوةٌ كبيرةٌ عند حكام عصره، فنال الجاهَ والمالَ والنضجَ العلميَّ القائم على التَّجْرِبَةِ العلميَّةِ.

لقد أُتيحَتْ للمقريزيِّ فرصةٌ ذهبيَّةٌ خلال تقلُّدِهِ هذه المناصبَ للاطِّلاع على بواطن الأمور وما يجري في البلاطِ والمؤسساتِ الثقافيَّةِ والاجتماعيَّة، إلى جانب اطِّلاعه على الوثائق الرسميَّة وما يحويه ديوان السَّلطنة من محفوظات، مِمَّا أعطى لكتاباته وآرائه الاحترامَ والتَّقْديرَ من قبل الباحثين على مَرِّ التاريخ.

إنَّ عشق المقريزي للعلم ولاسيما التَّاريخ جعله يُضَحِّي ببريق الذَّهب وأُبَّهَةِ المناصب، ويؤثر الاعتزالَ في الثلاثين سنةً الأخيرة من عمره ليُسطِّرَ لنا خلاصةَ تجربته وقراءاته في عشرات المؤلَّفات، منها نيف وثلاثون عنوانًا في التَّاريخ وحده حسب ما قرأه السَّخاويُّ بخطِّ المؤلِّف، أبان فيها عن فهمٍ ناضجٍ للتَّاريخ وشمولية حركته، فالتَّاريخُ ليس صليلَ سيوفٍ وثوراتٍ وفتنة فحسب، بل هو تاريخٌ يرصدُ حركةَ تفاعلِ الإنسانِ معَ الإنسانِ في إطار الزَّمان والمكان وما ينتجُهُ هذا التَّفاعلُ من إثمار على المستوى الاجتماعيِّ والاقتصادي، والثَّقافي، والدِّيني، والسِّياسي، والعمراني، والفنيِّ والعسكري، فلا نجد فرعًا من هذه الفروع لم يكتب فيه المقريزيُّ كتابًا أو رسالة، والناظر إلى قائمة مؤلفاته التَّاريخيَّةِ في الجدول الآتي يقدر قيمة إسهامات هذا المؤرِّخ في دفع حركة تدوين التَّاريخِ الإسلاميِّ وتطوير مناهجه وأساليبه، لذا ليس مستغربًا أن نرى أنَّ طائفة من مؤلَّفات هذا المؤرِّخ الموثِّقِ تُتَرْجَمُ إلى عددٍ من اللغاتِ الأوروبيَّة.

جدول مؤلفات المقريزي

الموضوع	اسم الكتاب	الموضوع	اسم الكتاب
النقود	- شذور العقود في ذكر النقود رسالة نفيسة في تاريخ النقود العربية الإسلامية	المدن	- الطريفة الغريبة في أخبار حضرموت العجيبة. - عقد جواهر الألفاظ في أخبار مدينة الفسطاط.
الموازين	- الموازين والأكيال	التراجم	- المقفى في تراجم أهل مصر والواردين إليها. - الضّوء السّاري في خبر تميم الدّاري. - تراجم ملوك الغرب (حكام تلمسان) - درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة (ترجم فيه لأعيان عصره؛ ٥٥٦ ترجمة). - نبذة تاريخية. (تراجم لأمراء ووزراء).
المجاعات	- إغاثة الأمة بكشف الغمة. يؤرخ لتاريخ المجاعات منذ أقدم العصور في مصر حتى حتى عام ٨٠٨هـ.		
العمران	- الإشارة والإعلام ببناء الكعبة والبيت الحرام.		
التاريخ الاجتماعي	- البيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب. (يتحدث عن القبائل العربية التي سكنت مصر) - شارع النجاة : (يشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصولهم وديانتهم وفروعها مع بيان أدلتها ووجه الحق فيها). - إزالة التعب والعنا في معرفة حال الغنا.	تاريخ مصر العام	- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : (يُعَدُّ سِجِلاً شاملاً لتاريخ مصر الحضاريّ) . - السلوك في معرفة دول الملوك (من أبرز كتب المقريزي، ومن أهمّ مصادر تاريخ مصر في العصرِ الإسلاميّ) - الدُّرر المضيئة في تاريخ الدولة الإسلامية. - الخبر عن البشر. - منتخب التذكرة في التّاريخ.
السيرة وآل البيت	- معرفة ما يجب لآل البيت من الحق على من عداهم - إمتاع الأسماع فيما للرسول من الحفدة والأتباع. - ذكر ما ورد في بني أمية وبني العباس من الأقوال.	تاريخ الحكام	- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا (أوفى مصدر في التّاريخ الفاطميّ). - الذهب المسبوك في ذكر مَنْ حَجَّ من الخلفاء والملوك (ذكر ٢٦ منهم). - الإلمام بمن في أرض الحبشة من ملوك الإسلام.

* لمزيد من التفاصيل عن هذه المؤلّفات انظر : شاكر مصطفى : التّاريخ العربيّ والمؤرّخون، ج٣، ص١٤٢-١٥١.

لقد ترك المقريزيُّ بصماتٍ واضحةً في الكتابةِ التَّاريخيَّةِ سواء من حيثُ المنهجُ أو الأسلوبُ أو النظرةُ للحدث التاريخي، إذ قام بتطوير النِّظام الحولي، فقد نظم كتابه (السلوك)[١] على منهج مغاير لما شاع في المؤلفات السَّابقة له، فقد دَوَّنَ حوادثَ كلِّ عام في فصلٍ مستقلٍّ يحملُ عنوانَ ذلك العام، وختم الحوادث بذكر الوفيات والترجمة لأصحابها بشيءٍ من الاختصار، كما نجده يُطَوِّرُ هذه المنهجية في النصف الثاني من الكتاب، إذ أخذ يفتتح السنة بذكر الوظائف الكبرى ومن يتولاَّها، وبخاصَّة إن وافق بدء السنة قيام سلطان جديد وما يصحب ذلك من تغييرات إداريَّة.

كما يُعَدُّ المقريزيُّ رائداً من رواد كتابة التَّاريخ الحضاري، إذ لا نجد فرعاً من فروع هذا التاريخ إلا وكتب فيه كتاباً أو رسالة، ففي حقل التَّاريخ الاقتصاديِّ نجده يرصد تغيرات العملة والأسعار، والأبنية والهدايا، والمكوس، والحرائق، وعدد الأنوال والموازين والأكيال، فهو يُعَدُّ أوَّلَ مؤرِّخٍ يُفْرِدُ رسالةً خاصَّةً لتاريخ النقود (شذور العقود في ذكر النقود) [٢]* وقد ترجمت إلى عدَّةِ لغاتٍ أوربيَّة، كما نجده يتَنَبَّهُ على أثرِ العاملِ الاقتصاديِّ وانعكاساته على الأوضاعِ السِّياسيَّةِ والاجتماعيَّة، فكان من أوائل مَنْ أَرَّخ للمجاعات في مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٨٠٨هـ/١٠٤٢م، من خلال كتابه (إغاثة الأمة بكشفِ الغُمَّة)[٣].

وفي حقل التَّاريخ الثَّقافيِّ نجده يُؤَرِّخُ للحياة الثَّقافيَّة في مصر، ويرصد علاقاتِهَا الثَّقافيَّةَ والعلميَّةَ مع الأمصار الأخرى من خلال كتابه (المقفى في تراجم أهل مصر والواردين إليها)[٤] وتناول المقريزيُّ تاريخ مصر الاجتماعيّ من خلال عدة كتب رصد من خلالها التَّكوينَ الديمغرافيَّ لمصر من خلال حديثه عن الموجات البشريَّةِ التي وفدت على مصر ولاسيما استيطان القبائل العربية مع حركة الفتوح خاصَّةً في كتابه (البيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب)[٥].

١- السلوك في معرفة دول الملوك، من أبرز كتب المقريزي، وقد ظهر الجزء الأول منه عام ١٩٣٤ بتحقيق محمد مصطفى زيادة، ثم الجزء الثاني ١٩٥٨م، ثم الجزء الثالث، والرابع وهو الأخير بتحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور (١٩٧٠-١٩٧٣م).

٢- طبع في النجف عام ١٩٦٧م مع دراسة موسعة من قبل محمد بحر العلوم، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإيطالية، والفرنسية، والإنجليزية.

* الكتابُ مطبوعٌ بهذا العنوان، ويُحتاجُ إلى تَثَبُّتٍ لإثباتِ صحَّةِ نسبته إلى المقريزيِّ؛ لأَنَّ الكتابَ مشحونٌ بالتَّعَرُّضِ لسيِّدنا معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعضِ الصَّحابةِ الكرامِ رضيَ اللَّهُ عنهم. «هيئة التحرير».

٣- كتيب طبع عدة طبعات كان آخرها في القاهرة عام ١٩٧٠م

٤- مرتب على حروف المعجم في ١٦ مجلداً، لم يبق منها سوى ثلاثة موزعة بين ليدن رقم ١٣٦٨، ومكتبة برتو باشا في المكتبة السليمانية باستنابول رقم ٤٩٦، والمكتبة الأهلية بباريس رقم ٢١٤٤. وقد طبع مؤخراً في دار الغرب الإسلامي ببيروت في ثمانية مجلدات.

٥- طبع بتحقيق عبدالمجيد عابدين، ١٩٦١م.

وقدّم المقريزيُّ نموذجًا للأبحاث التَّاريخيَّة المعمقة في حقل الدِّراسات الأثريَّة من خلال كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)[1] إذ يُعَدُّ منجمًا تاريخيًّا، ففيه تسجيل لتاريخ مصر العمرانيِّ والاجتماعيِّ والفَّنيِّ والاقتصاديِّ والثقافي، فقد تحدَّث عن القاهرة وخططها القديمة وتطورات تلك الخطط والشَّوارع، والأرض، والأسواق والأحياء والمساجد والقصور، والدّور والمدارس، والرّياض، والأمطار، والأديان، والكنائس، وأجناس النَّاس، والأقباط واليهود. ولم يكن هذا الكتاب الأثر الوحيد الذي تركه المقريزي في حقل التَّاريخ العمرانيِّ بل له أيضًا (أخبار مدينة الفسطاط)[2]، و(بناء الكعبة) وغيرهما. وقد امتاز المقريزيُّ بتوثيقه لأخباره عن طريق تصريحه بمصادر معلوماته في مطلع كلّ خبر يورده، وهكذا كان المقريزي رائدًا من رواد التَّجْديد في حقل الدِّراسات التَّاريخيَّة في العصر المملوكيِّ ذلك العصر الذي يُعَدُّ عصر المبدعين والمجدِّدين وكُتَّاب الموسوعات.

٩-محيي الدِّين محمد بن سليمان الكافيجيّ (٧٨٨-٨٧٩هـ/١٣٨٦-١٤٧٤م).

صاحب أقدم رسالة معروفة في نظرية علم التاريخ، وذلك في كتابه المختصر (مختصر في علم التاريخ) الذي كتبه سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٣م، وأجاب فيه عن عدة مسائلَ متعلِّقة بخصائص علم التَّاريخ وغرضه وهدفه وفوائده ومركزه بين العلوم الدينيَّة الإسلاميَّة.

رقد ردَّ الكافيجيُّ على الذين يقولون بعبثية التاريخ وأنه لافائدة منه، فقال : إنَّ «فيه فوائد لا تحصى، منها إحاطة تلك الحوادث الجزئية على وجه معتبر بهذا العلم الشَّريف، ولولاه لكان الخائض فيها يتكلَّمُ فيها كيفما اتَّفقَ بلا اعتبار بين صحيح وفاسد، ويَخبطُ فيها خبطَ عشواء... فيكون هذا العلم قانونًا له... ».

وفي كلام الكافيجي إشارة إلى وظيفة التَّاريخ الأَساسيَّة، وهي رصدُ الأمورِ الحادثة الغريبة التي لا تخلو من منفعة ونصح واعتبار، أمَّا الحوادث العادية والمتشابهة فلا يلتفت إليها إلا بطريقة إجماليَّة ضمن رصده العامِّ للشَّرائح الصَّانعة لنشاطات الحياة المختلفة، ومن ثَمَّ يكون الكافيجيُّ من القلائل الذين استوعبوا المنهجَ التَّاريخيَّ الذي قَدَّمَهُ القرآنُ الكريم.

وقد حَدَّدَ الكافيجيُّ موضوع علم التاريخ بقوله : «وأمَّا موضوعُهُ فهو أمورٌ حادثةٌ غريبةٌ لا تخلو من مصالحَ وترغيبٍ وتحذيرٍ وتنشيطٍ وتثبيطٍ ونصحٍ واعتبارٍ وبسطٍ وانفعالٍ بحيث

١- طبع عدة طبعات كان آخر طبعة المثنى ببغداد، وقد ترجم إلى عدة لغات منذ عام ١٧٢٤، واستخرج منه المستشرق كازنوفا وصف قلعة القاهرة وتاريخها في مجلدين.

٢- عنوان الكتاب (جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط)، وهو أول كتاب كتبه المقريزي في تاريخ مصر الإسلامي الأوَّل، مخطوط برلين رقم ٩٨٤٥، انظر : شاكر مصطفى: المرجع السابق جـ٣، ص١٤٨.

يلاحظ فيها ضبطها بتحرير وتقرير، وتعيين وتوقيت لغرض صحيح في ذلك كوقائع متعلقة بالأنبياء وكسائر الحوادث من الأمور السَّماوية والأرضيَّة من حدوث ملة وظهور دولة وزلزلة وطُوفَانٍ ومَوْتَانٍ إلى غير ذلك من الحوادثِ الهائلةِ العظامِ والأمورِ الصَّائلةِ الجسام...»[1].

١٠- شمس الدِّين السَّخاويّ (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)

صاحب كتاب (الإعلان بالتَّوبيخ لمن ذَمَّ أهلَ التاريخ)، ويُعَدُّ هذا الكتاب تفصيلاً وافيًا لكتاب الكافيجي الذي كان موجزًا كلَّ الإيجاز، وهو لذلك يعتبر عرضًا جميلاً لعلم التَّاريخ الإسلاميِّ وموضوعاته لمن يعرف كيف يقرأه.

وقد اهتمَّ السَّخاويُّ بالفهم الشُّمولي للتَّاريخ، فهو يؤمن بالرَّصد الحضاريِّ الشَّامل لكلِّ العوامل الفاعلة في الحركة التَّاريخيَّة، ولا يقتصر على التَّاريخ السِّياسيِّ أو العسكري، وأكَّدَ لنا هذا الفهمَ الشموليَ والحضاريَّ عندما أورد لنا الفنون الأربعين التي تقعُ في مجال التَّاريخ والتي سَجَّلَهَا الإمامُ الذَّهبيُّ قبلَه.

- لقد آمنَ السَّخاويُّ بوحدة التَّجْرِبَةِ الإنسانيَّة، وأنَّ قراءة التَّاريخ تزيد الوعي لدى من يقرأه؛ لأنَّ أحداث التاريخ تتشابه، فمن فاتَهُ تأمُّلُ التَّاريخ فاته خيرٌ كثير، ويُبَيِّنُ في هذا الصدد أنَّ من عرف التاريخ كان «كمن عاشَ الدَّهْرَ، وجَرَّبَ الأمورَ بأسرها، وباشر تلك الأحوالَ بنفسه، فيعزز عقله، ويصير مُجرِّبًا غيرَ غِرٍّ»[2].

١١- السُّيوطيُّ، جلال الدِّين أبو الفضل عبدالرَّحمن بن أبي بكر [3]

(٨٤٩-٩١١هـ/١٤٤٥-١٥٠٥م)

ينحدرُ هذا العالمُ الموسوعيُّ من أسرة مشهورة بالثَّراء في الدِّيار المصرية ممَّا وَفَّرَ له فرصةً ذهبيَّةً للتفرُّغِ لطلب العلم والرَّحيل من أجله، فقد حَفِظَ القرآنَ الكريم، وألفية ابن مالك، والعمدة، ومنهاج الفقه والأصول في فترة مبكرة من حياته، ووضع أَوَّلَ مؤلف له (شرح الاستعاذة والبسملة) وهو في السَّابعةَ عشرةَ من عمره، وتولَّى الإفتاء وهو دون الخامسةِ والعشرين.

١- روزنتال: علم التَّاريخ، ص٣١٨؛ شاكر مصطفى: المرجع السَّابق، ج١، ص١٠-١٦؛ عبدالحليم عويس: تفسير التاريخ في تراثنا الإسلامي، الإسلام اليوم، ع٥، ذو القعدة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٤٨-٤٩.

٢- شاكر مصطفى: المرجع السابق، ج٣، ١٧٧-١٧٨، عبدالحليم عويس: المقال السابق، ص٥٠.

٣- لمزيد من التَّفاصيل عن ترجمته انظر السُّيوطيّ: حسن المحاضرة، ج١، ص٣٣٥-٣٤٤، العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١، ص٥١-٥٥، محمد عبدالله عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، ص١٤٢-١٥١.

لقد آمن هذا العالم بالرِّحلة وسيلةً من وسائل طلب العلم، فسافر إلى كلٍّ من بلاد الشام، والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور، حتى إذا بلغ سنَّ الأربعين، وشعر أنَّهُ نال بغيته من العلم، ونَضِجَتْ تَجْرِبَتُهُ بالمشاهدة والسَّماع والقراءة، وأنَّه آن الأوانُ لتسجيل العلومِ التي استوعبها والمسائلِ التي وعاها وضع عصا التَّرْحالِ في مدينة القاهرة التي بقي فيها حَتَّى وافاه الأجلُ المحتوم.

لقد كان هذا العالِمُ الفذُّ محلَّ تقدير علماء عصره، فشهدوا له بالتَّبَحُّرِ في الطِّب والجدل والنَّحْو والمعاني والبيان والبديع والإنشاء والتَّرَسُّل، كما كان محطَّ أنظار الأمراء والكبراء وأصحاب المناصب الذين كانوا يأتون لزيارته في حين كانوا يطلبونه لزيارتهم، فيعتذر مما جعله يكبر في أعين الخاصَّة والعامَّة، ومما زاد في إعجاب علماء الأمة به جيلاً إثر جيل أنه خلف لنا أكثر من سبع مئة كتاب ورسالة[1] إذ لم يترك فنًّا من الفنون ولا علمًا من العلوم إلا وسطر فيه كتابًا أو رسالة مِمَّا وضعه في طليعة المكثرين من المؤلِّفين في التُّراث العربيِّ الإسلامي، وجعله أحد أبناء الأمة الأعلام الدين يُمَثِّلُونَ الثَّقافة الإسلاميَّة بمفهومها الشُّمولي، فكانَ بحقٍّ ذاكرةَ الأمَّةِ الصَّادقةَ التي حافظت على تراثها وحمته من الضَّياع، على الرغم من كلِّ ما قيل عن مؤلفات هذا العالم الجليل من أنَّها في الغالب الأعمِّ لا تعدو أن تكون جمعًا أو تلخيصًا أو تذييلاً، وأنَّ نصيبه من الإبداع الذاتي قليل، إلا أنَّ هذا القليل إلى جانب حفظه لهذا الكمِّ الهائل من التُّراثِ يجعلُهُ من زمرة المجدِّدينَ الذين ظهروا في القرنِ التَّاسع الهجري.

ولعلَّ نظرةً عَجْلَى على الموضوعاتِ التي تناولَها هذا العالمُ الفَذُّ تُؤكِّدُ استحقاقه للقب مُجَدِّد، فقد عالج في مؤلفاته ورسائله : تاريخ بعض الأمراض، وأخبار العبيد والجواري، والخصيان، وأولاد السراري، وأخبار النساء، وأحوال الثقلاء، والحبشان، والأنساب، والمعمرين، والآثار، وفضائل الأقاليم والمدن، والجغرافيا، والرحلات، وفن التَّأليف، وأسماء المصنفين والطَّبقات، والذُّيول والمختصرات، والتَّاريخ، والفلسفة، والتَّفسير، والتَّراجم، وعلم الجرح والتَّعديل، والفقه السِّياسي، والأحكام السلطانيَّة، وتاريخ العربية، والسِّلاح، وغيرها من الموضوعات، ومن حسن الحظِّ أنَّ عددًا كبيرًا من مؤلفات السُّيوطيِّ قد وصل إلينا، فحقق بعضه، وما زال بعضه الآخر ينتظر البحث والتحقيق علمًا أنَّ تراث هذا العالم الجليل مُوَزَّعٌ بَينَ أكثرَ من مئة وعشر مكتبات في مشارق الأرض ومغاربها [2].

١-عن عدد مؤلفاته واختلاف العلماء فيها انظر : أحمد الخازندار ومحمد إبراهيم الشيباني : دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها، أحمد الشرقاوي : مكتبة السيوطي، شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص١٨٣، حاشية رقم ١.

٢- لمزيد من التفاصيل عن مؤلفاته انظر : شاكر مصطفى : المرجع السابق، ج٣، ص ١٨٤-١٩٥.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث يمكن تسجيل الملاحظات الآتية :

١- إنَّ من أبرز خصائص المجدد :القدرة العالية على التَّنظيم والاستقصاء وإدارة الوقت، والقدرة على التَّحْليل والتَّفكيك والتَّمحيص والنَّقد وإعادة التركيب فضلاً عن الشَّغف بالرِّحلة وتَتَبُّع مصادر المعرفة دون كلل أو ملل مع استعداد خاص لتحمل المشاقِّ والصَّبر على مكابدة تَتَبُّع المسائل المعقَّدة، الذي يتطلَّبُ أيضًا ثقافةً موسوعيَّةً تعينُ على تحقيق المجدِّد لأهدافه وطموحاته.

٢- تمحور معظمُ نتاج المجدِّدين في حقل الدِّراسات التَّاريخيَّة حول التَّاريخ الحضاريِّ بفروعه المتعدِّدة مع التَّركيز على التَّاريخ الاجتماعي، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على وعي هذه الكوكبة من المؤرخين لمفهوم التاريخ ؛ أنَّهُ تاريخ مجتمع وحضارة، وتاريخ أمة لا تاريخ أشخاص، تاريخ يركِّزُ على العناصر الفاعلة والمؤثرة فيه.

٣- كانت النزعةُ الاستقلاليَّةُ في التَّفكير والسُّلوك من السِّمات المميزة للمبدعين في تراثنا العربيِّ الإسلاميِّ فضلاً عن تمتعهم جميعًا بسعة الأفق والنَّظرة الشُّموليَّة لحركة التَّاريخ الإسلامي.

٤- ترتَّب على عدم اتفاق علماء الأمَّة على تحديد معنًى دقيق لمصطلح التَّجْديد تباينٌ في الآراء حولَ الشُّروط التي يجبُ توافرُها في المجدِّد.

٥- يحتلُّ الإمامان الجليلان الزهري والهيثم بن عدي مكان الصَّدارة بين مجددي القرون الأولى، علمًا بأنَّ الإمامَ الزُّهريَّ يُعَدُّ من أوائل من اهتمَّ بمصطلح التَّجْديد في تراثنا العربيِّ الإسلامي.

٦- من الملاحظ أنَّ ١٠٪ من المجددين في القرون الثَّلاثة على سبيل المثال أَسَرَهُمْ حبُّ العلم، وعزفوا عن الزَّواج، وأنَّ ٦٠٪ من المجدِّدينَ الذين ظهروا في تلك القرون عملوا في مناصب الدَّولة أو كانوا موالين للدُّول القائمة.

٧- وَفَّرت الدَّولةُ الإسلاميَّةُ كلَّ الظُّروف المناسبة لرعاياها لدفعهم للإبداع بغضِّ النَّظر عن جنسهم أو لونهم أو مذهبهم أو انتمائهم الفكريِّ وحالتهم الصِّحيَّة مِمَّا أتاحَ لاصحاب الفئات الخاصَّة الإسهام في حركة التَّجْديد في المجتمع الإسلامي، فعلى سبيل المثال كان ١٠٪ من مجموع المجددين في القرون الثلاثة الأولى ممَّن حرِمُوا نعمة البصر، ولكن هذا لم يمنعهم أن يكونوا رُوَّادًا في مجتمعهم فضلاً عن أنَّ أهالي البلاد المفتوحة عندما تفيَّأوا ظلال العدالة الإسلاميَّة تفتقت إبداعاتُهُمْ فَشَكَّلُوا السَّواد الأعظمَ من المجددين في تراثنا الإسلامي.

٨- شَكَّلَ الفقهاءُ من أصحاب الثَّقافة الموسوعيَّة أكبرَ نسبة من المُجَدِّدين.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه ربِّ العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١-آداب الشافعي ومناقبه : ابن أبي حاتم، أبو محمد عبدالرحمن بن محمد (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م)، القاهرة، ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م.

٢- الأعلام : خير الدِّين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٣٥٩هـ = ١٩٧٩م.

٣- الإعلان بالتوبيخ لمن ذَمَّ التاريخ : السَّخاوي، محمد بن عبدالرحمن، (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، دمشق، ١٣٤٩هـ = ١٩٣٠م.

٤- بحث في نشأة علم التَّاريخ عند العرب : عبدالعزيز الدُّوري، بيروت، ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م.

٥- البيروني ومنهجه في البحث التاريخي : سيد رضوان علي، مجلة الدِّراسات الإسلاميَّة، إسلام آباد، باكستان، مج ٢١، ٢٤، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

٦- تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، المطبعة السَّلفيَّة، المدينة المنوَّرة، د، ت.

٧- تاريخ الرسل والملوك : الطَّبري، محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط٢.

٨- التَّاريخ العربيّ والمؤرِّخون : شاكر مصطفى، بيروت، ط١، ٢، ٣، ١٣٩٨، ١٤٠٠، ١٤١٠هـ = ١٩٧٨، ١٩٨٠، ١٩٩٠م.

٩- التَّاريخ والمؤرِّخون العرب : السيد عبدالعزيز سالم، القاهرة، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م.

١٠- تبيين كذب المفتري في ما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعريّ : ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، دمشق، مطبعة التوفيق، ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م.

١١- التفسير الإسلاميّ للتّاريخ : عمادالدِّين خليل، بيروت، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

١٢- تفسير التَّاريخ، علم إسلاميّ : عبدالحليم عويس، القاهرة، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

١٣- توالي التّأسيس بمعالي ابن إدريس : ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) القاهرة، مطبعة بولاق، ١٣٠١هـ = ١٨٨٣م.

١٤- جامع الأصول في أحاديث الرَّسول : ابن الأثير، مجدالدِّين أبو السَّعادات، محمّد، (ت٦٠٦هـ.١٢٠٩م)، تحقيق :عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، ١٣٩٢هـ.

١٥- حول التفسير الإسلاميّ للتَّاريخ : محمد قطب، المجموعة الإسلاميَّة، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

١٦- ابن الخطيب والتَّجْديد في المنهاج التَّاريخيِّ : محمد زنيبر، مجلَّة كُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة بالرِّباط، ع٢، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

١٧- أبو الرَّيحان البيروني : حياته ومؤلفاته : علي أحمد الشحاتة، القاهرة، ١٣٨٨هـ = ١٩٦٦م.

١٨- سير أعلام النُّبلاء : الذَّهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، بيروت، مؤسسة الرِّسالة.

١٩- الصِّحاح : الجوهري، إسماعيل بن حمَّاد، (ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار، القاهرة، ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م.

٢٠- الطَّبريّ : أحمد محمد الحوفي، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، دار المعارف.

٢١- طبقات الشَّافعيَّة الكبرى : السُّبكي، تاج الدِّين أبو نصر عبدالوهَّاب بن علي، (ت٧٧١هـ / ١٣٦٩م)، تحقيق : محمود الطَّناحي وعبدالفتاح الحلو، القاهرة، ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤م.

٢٢- علم التَّاريخ عند المسلمين : فرانز روزنتال، ترجمة : صالح أحمد العلي، بغداد، ١٣٨٣هـ = ١٩٦٨م.

٢٣ - علم التَّاريخ، نشأته وتطوّره ووضعه بين العلوم الأُخرى ومناهج البحث فيه : شوقي الجمل، القاهرة، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٢٤- الفكر التَّاريخيّ في الإسلام : عبداللطيف شرارة، دار الأندلس، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

٢٥- الفهرست : ابن النديم، محمد بن إسحاق، (ت ٣٨٠هـ)، بيروت، د.ت.

٢٦- في أصول تاريخ العرب الإسلاميّ : محمد محمد حسن شرّاب، دمشق، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

٢٧- في التَّاريخ الإسلامي، لماذا المنهج ؟ : عماد الدِّين خليل، مجلّة الأُمَّة، محرَّم، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م.

٢٨- فيض القدير شرح الجامع الصغير : المناوي، زين الدِّين محمد عبدالرؤوف، (ت١٠٣١هـ / ١٦٢١م)، القاهرة، ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م.

٢٩- الكامل في التَّاريخ : ابن الأثير، عزّ الدِّين، (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، بيروت، دار صادر، د.ت.

٣٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت١٠٦٧هـ)، بغداد، د.ت.

٣١- الكفاية في علم الرِّواية : الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ط١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت.

٣٢- كيف نكتب التَّاريخ الإسلاميّ : محمد قطب، الرِّياض، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

٣٣- لسان العرب : ابن منظور، جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ/١٣١٠م)، بيروت، ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.

٣٤- لسان الميزان : ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، بيروت، د.ت.

٣٥- المؤرِّخون في مصر في القرن التَّاسع الهجريّ : محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٣٦٩هـ = ١٩٤٩م.

٣٦- المختصر في علم التَّاريخ : الكافيجي، محمد بن سليمان الحنفي، (ت ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) طبع مع كتاب :علم التَّاريخ عند المسلمين، بغداد، ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م.

٣٧- مسائل نفيسة في منهج كتابة التَّاريخ : محمد بن صامل السّلمي، مكة المكرَّمة، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

٣٨- المسلمون وكتابة التَّاريخ : عبدالعليم عبدالرَّحمن خضر، المعهد العالميّ للفكر الإسلامي، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

٣٩- مصادر التَّاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه : سيدة إسماعيل كاشف، القاهرة، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

٤٠- معجم الأدباء : ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)، بيروت، دار إحياء التُّراث العربي، د.ت.

٤١- معجم مقاييس اللغة : ابن فارس : أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ / ٩٧٥م)، تحقيق : عبدالسَّلام هارون، القاهرة، ١٣٦٦هـ = ١٩٤٦م.

٤٢- مفهوم تجديد الدِّين : بسطامي محمد سعيد، الكويت، دار الدَّعوة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م.

٤٣- المقدّمة : ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

٤٤- مكتبة الجلال السيوطي : أحمد الشَّرقاوي، الرِّباط، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

٤٥- المنهج الإسلاميّ في فكر ابن خلدون في مواجهة مناهج دارسيه الغربيين : مصطفى الشكعة، بحث مقدّم إلى النَّدوة الدَّوليَّة حول الدِّراسات والأبحاث في الحضارة الإسلاميَّة، استانبول ١٥-١٨ صفر، ١٤٠٩هـ = ٢٦-٢٩ سبتمبر ١٩٨٨م.

٤٦- منهج كتابة التَّاريخ الإسلامي : محمد بن صامل السّلمي، الرِّياض، ط١، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

٤٧- موارد الطّبريّ : جواد علي، مجلَّة المجمع العلميّ العراقي، ع٨، ١، ٢، ٣، ١٣٧٠، ١٣٧٤، ١٣٨١هـ = ١٩٥١، ١٩٥٤، ١٩٦١م.

٤٨- وفيات الأعيان : ابن خلكان، أحمد بن محمد، (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، تحقيق : إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٠م.

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

ACADEMIC REFEREED JOURNAL OF
ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

GENERAL SUPERVISION
BOARD OF SCIENTIFIC, TEACHING AND
ADMINISTRATIVE AFFAIRS

EDITOR IN-CHIEF
Prof. IBRAHIM MOHAMMED SALQINI

EDITING DIRECTOR
DR. MOHAMMAD ABDUL RAHIM SULTAN AL OLAMA

EDITING BOARD
Prof. HATIM SALIH AL DHAMIN
Prof. RAJAB SAEED SHAHWAN
DR. IYADA AYOUB AL KUBAISI

ISSUE NO. 19
Rabi' AlAwal, 1421H - June 2000G

ISSN 1607- 209X

ISSN 1607-209X

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

Academic Refereed Journal of

ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

ISSUE NO. 19
Rabi' AlAwal, 1421H - June 2000G